سفارات الأندلس

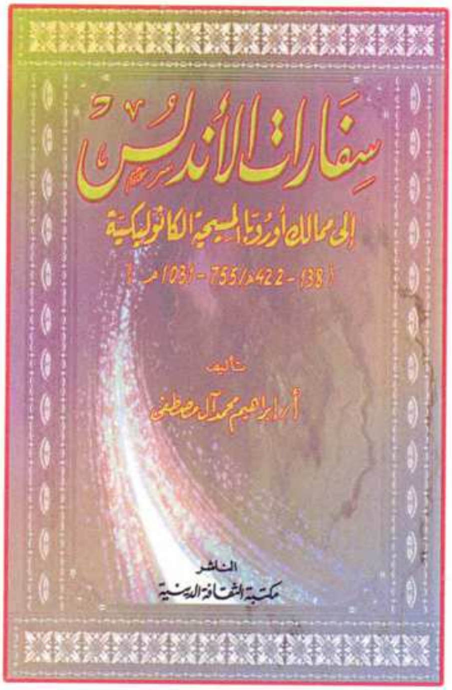
إلى ممالك أوروبا المسيحية الكاثوليكية

(138 - 422هـ / 755 - 1031م)

تأليف

أ/ إبراهيم محمد آل مصطفى

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية



الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة

ت: ٢٥٩٢٢٦٢٠ - ٢٥٩٣٨٤١١

فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧ ص.ب: ٢١ توزيع الظاهر

E-mail:alsakafa_alDinaya@hotmail.com

سفارات الأندلس

إلى ممالك أوروبا المسيحية الكاثوليكية

(138 - 422هـ/755 - 1031م)

تأليف

أ/ إبراهيم محمد آل مصطفى

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
1434هـ - 2013

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد – القاهرة
25922620-25938411 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ال مصطفى ، سعد ابراهيم محمد
سفارات الاندلس الى ممالك اوربا المسيحية الكاثوليكية 238-433 هـ/755-
1031 م/تاليف : سعد ابراهيم محمد ال مصطفى
ط-1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ،2012
128 ص ، 24 سم
تدمك : 978-977-341-584-8
1- الاندلس -تاريخ – الخلفاء الراشدين
ا- العنوان

ديوى: 953,711

رقم الايداع: 2012/21455

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله جل وعلا الذي علمنا ما لم نعلم.

الحمد لله الذي ساعدنا على إتمام هذا العمل.

عرفاناً مني بالجهود العلمية التي قدمت لي من أساتذتي في جامعات بغداد، البصرة، القادسية، الكوفة، المثنى، القادسية لهم مني جزيل الشكر والامتنان. كما اشكر كل الذين قدموا لي يد العون بالجهد والوقت وبتوفير بعض المصادر أو المراجع لإنجاز هذا العمل.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى منتسبي المكتبات في كل من جامعة القادسية ومكتبة الإدارة المحلية في محافظة القادسية، منتسبي مكتبة اتحاد المؤرخين العرب ومنتسبي مكتبة كلية الآداب ومنتسبي مكتبة كلية اللغات في جامعة بغداد ومنتسبي المكتبة المركزية في الجامعة المستنصرية ومنتسبي مكتبة المركز الثقافي الفرنسي في بغداد، منتسبي المكتبة المركزية ومكتبة كلية الآداب في جامعة البصرة، أساتذتي وأخوتي وزملائي. وفقهم الله جميعاً. وأخيرا أقول لمن مد لي يد العون:

وأعظمُ الناسِ من يأتيك منتخياً فلم تصح ولكن صاحت الشيمُ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاء ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾

صدق الله العظيم

﴿ سورة عبس / ١١ – ١٦ ﴾

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَنْ سار على نهجهم إلى يوم الدين.

تحدث التاريخ كثيراً عن السفارات الأولى في الإسلام التي بعثها الرسول محمد (ص) إلى ملوك الأرض، والحال ذاته في العصور التي تلت عصر الرسول (ص) من: عصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموي والعصر العباسي، وهذه السفارات وإنْ تعددت أهدافها إلاَ أنها بينت فهماً ناضجاً للعمل الدبلوماسي في التعامل مع الآخرين.

أما في عصر الدولة الأموية في الأندلس فقد أتضح التعامل الدبلوماسي شيئاً فشيئاً إلى أن وصل إلى أوج نضجه في عصر الخلافة من الوفود الدبلوماسية التي قدمت إلى الأندلس لمختلف الأغراض فضلاً عن السفارات التي انطلقت من الأندلس إلى الدول المجاورة ومنها الممالك الأوربية موضوع الدراسة.

مع أنَ هناك من بحث في تاريخ العمل الدبلوماسي بصورة عامة في الأندلس إلا أنَ السفارات تحديداً تكاد تكون أرضاً بكراً لم تلق النصيب

الكافي عند الكتاب في كتاباتهم وإنْ وجدت الكتابة في هذا الجانب تكاد تكون قليلة ومحدودة، واستمراراً للمسيرة العلمية والتوسع المعرفي وتسليط الضوء على جزء من الدبلوماسية في زمن أخذت منه الحروب مأخذاً، وانسجاماً مع حوار الحضارات فضلاً عن إظهار نزعة الإسلام الإنسانية عزمنا - بعد التوكل على الله - على دراسة الموضوع ﴿سفارات **الأندلس إلى ممالك أوربا المسيحية الكاثوليكية ١٣٨ - ٤٢٢ هـ / ٧٥٥ -** ١٠٣١ م﴾ مدركين لأهمية تلك السفارات وما أوضحنا من خلالها عن عمل دبلوماسي ناضج في تاريخ الأندلس بعد أن أصبحت تلك السفارات ثوابت حضارية شاخصة.

لقد استعملنا في عنوان الدراسة كلمة(مسيحية) بدل (النصرانية) التي استعملتها المصادر الأندلسية القديمة ونظراً لعدم وجود اختلاف جوهري بين الكلمتين؛ ولأنَ المصادر القديمة تتحدث بلغة عصرها وإنَ الكثير من المراجع الحديثة تستعمل المسيحية متحدثةً بلغة عصرها أيضاً آثرنا استعمال كلمة المسيحية في عنوان الدراسة انطلاقاً من العصر الذي نعيشه أيضاً، أما كلمة (كاثوليكية) فقد أردنا من استعمالها حصر موضوع الدراسة في جهة واحدة من أوربا؛ لأنَ أوربا في ذلك الزمن ليست للكاثوليك فحسب؛ وإنما كان للأرثوذكس نصيب فيها حيث القسطنطينية.

لقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول و خاتمة، وقد تناولنا في الفصل الأول المتكون من مبحثين: السفارات مفهوماً وهدفاً و خصصنا المبحث الأول لمفهوم الدبلوماسية والسفارة، وبما أنَ السفارات هي جزء لا يتجزأ من الدبلوماسية فقد إرتأينا دراسة الدبلوماسية وقد تطرقنا إلى الدبلوماسية الدائمة والدبلوماسية المؤقتة، والسفارة أيضا، كما تطرقنا إلى مفاهيم تعطي معنى السفارة نفسها، ومن الأمور الأخرى التي ذكرت هي أهداف السفارات التي خصصنا لها المبحث الثاني، إذ كان للسفارات أهداف عدة منها الظاهري ومنها ما لا يعلن عنه، وقد فصلّنا تلك الأهداف بعد أن حددناها وأعطينا مثالاً لكل هدف من تلك الأهداف.

أمّا الفصل الثاني فكان بعنوان أصول الدبلوماسية الأندلسية وقد استعرضنا فيه مراسم استقبال وتوديع السفراء القادمين إلى الأندلس والخارجين منها وكان ذلك في المبحث الأول إذ وصلت قرطبة الأندلس إلى قمة ازدهارها في عصر الخلافة وشمل ذلك الازدهار مجالات الحياة كافة وفي ضمنها الجانب الدبلوماسي، وكان السفراء القادمون إلى قرطبة ينبهرون بما يشاهدونه من جليل القدر والعظمة، كما كان لحصانة السفراء وصفاتهم نصيب في هذا الفصل إذ خصصنا له المبحث الثاني وقد كان السفير القادم إلى الأندلس يتمتع بالحصانة، كما كان للسفراء صفات خاصة يتمتعون بها تُميزهم عن غيرهم وتأهلهم ليكونوا سفراء، وقد اهتم العرب كثيراً بتلك الصفات التي يجب أن يتمتع بها السفير وعملوا

جاهدين على جعل السفير كاملاً بعيداً عن النقص، و قسموا تلك الصفات على ثلاثة أقسام رئيسة هي الصفات الجسمانية والخلقية والثقافية.

ثم خصصنا الفصل الثالث للتمثيل الدبلوماسي لعصر الإمارة الأموية في الأندلس ١٣٨ – ٣١٦ هـ / ٧٥٥ – ٩٢٨ م فكانت نشأة الممالك الأسبانية عنوان المبحث الأول موضحين بداية نشوء المملكة الأسبانية المسيحية في شمال وشمال غرب أسبانيا وكيف تحولت بمرور الزمن من تجمع لفلول القوط المنهزمة إلى قوة تستطيع العدوان والمقاومة مستغلة طبيعة الأرض الصعبة وانشغال المسلمين بمشاكلهم الداخلية، وعلى الرغم من كل المحاولات التي قام بها المسلمون للقضاء على ذلك التجمع الذي أصبح فيما بعد مملكة مسيحية، لم تصل تلك المحاولات إلى نتيجة نهائية تقضي على ذلك التجمع؛ بل خلاف ذلك راح ينمو شيئاً فشيئاً ووصل الحال إلى تبادل للسفارات بين المملكة المسيحية والدولة الإسلامية في الأندلس فيما بعد، وفي المبحث الثاني (السفارات والتمثيل الدبلوماسي) تحدثنا عن السفارات الموجهة من الأندلس إلى ممالك أوربا إذ انطلقت العديد من السفارات فمنها ما توجهت إلى فرنسا وأخرى توجهت إلى ألمانيا وثالثة توجهت إلى المملكة المسيحية في أسبانيا وكان لتلك السفارات كلها أهداف مختلفة تحدثنا عنها خلال الدراسة.

أما الفصل الرابع الذي كان تحت عنوان **سفارة يحيى بن الحكم الغزال إلى ملك النورمان** فيعد متمما للفصل الثالث، ونتيجة لأهمية موضوعه وتوافر مادته فقد أفردنا له فصلاً كاملاً، إذ خصص للحديث عن حياة هذا السفير في المبحث الأول منه لما يتمتع به من صفات أهلته لكي يصبح سفيراً لبلاط عبد الرحمن الأوسط إلى ملك النورمان، وفي المبحث الثاني كان نصيب سفارة الغزال تلك السفارة التي جاءت نتيجة لسفارة قدمت من النورمان أنفسهم بعد الغارات التي قام بها النورمان على أرض الأندلس التي راح ضحيتها العديد من المسلمين في الأندلس، فقد انطلقت سفارة الغزال برفقة سفارة النورمان إلى بلادهم، ثم أقفل راجعاً إلى بلده الأندلس بعد أنْ أكمل المهمة المناطة به كسفير.

أما في الفصل الخامس فقد تناولْنا: **التمثيل الدبلوماسي لعصر الخلافة الأموية في الأندلس ٣١٦ – ٤٢٢ هـ / ٩٢٨ – ١٠٣١ م**، وكان المبحث الأول بعنوان سفارة الناصر إلى ملك ألمانيا أوتو الأول التي سبقها وصول كتاب إلى ملك ألمانيا من الخليفة الأندلسي الناصر، أما المبحث الثاني فقد خصص للسفارات الأندلسية الأخرى التي كان الكثير منها ينطلق من الأندلس استجابةً ورداً للسفارات القادمة من الممالك الأوربية، وقد استمر هذا الوضع في زمن الخليفة الناصر، وابنه الحكم المستنصر. وعلى الرغم من قوة الأندلس في زمن محمد بن أبي عامر لم تصل إلى المستوى الدبلوماسي العالي الذي شهدته الأندلس في زمن الخليفتين الناصر، وابنه المستنصر. ثم ختمنا الدراسة بأهم النتائج.

وقد واجهنا في هذه الدراسة – شأن أية دراسة – صعوبات عدة تمثلت في البحث عن المصادر نتيجة لندرتها الأمر الذي جعلنا نبحث عنها في أماكن عدة في خارج العراق وداخله، لاسيما مع الظرف الأمني المتردي الذي واجهته العاصمة العراقية بغداد والمدن العراقية في أثناء إعداد هذه الدراسة.

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة كبيرة من المصادر الأولية، والمراجع الحديثة العربية، والأجنبية، أو المترجمة، والرسائل الجامعية. والدوريات، وفيما يلي استعراض لأهم المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

- من كتب الفتوح /

١) ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عبد العزيز (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م).

تاريخ افتتاح الأندلس.

- من كتب التاريخ العام /

١) ابن حيان القرطبي: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد (ت ٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦ م).

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس

- المقتبس من أخبار بلد الأندلس

٢) المراكشي: عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م).

المعجب في تلخيص أخبار المغرب.

٣) ابن عذارى: أبو عبد الله محمد المراكشي (ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م).

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.

٤) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي (٧٣٢ – ٨٠٨ هـ / ١٣٣٢ –

١٤٠٥م).

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

- ومن كتب التراجم /

١) الحميدي: أبي محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الأندلسي (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥م). **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس.**

٢) الضبي: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م).

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس.

- ومن كتب الآداب السلطانية /

١) ابن الفراء: الحسين بن محمد (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م).

رسل الملوك ومن يصلح للسفارة.

٢) ابن الأزرق: أبي عبد الله (ت ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م). **بدائع السلك في طبائع الملك.**

- ومن كتب البلدان والمواقع /

١) الحميري: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي (ت ٦١٠ هـ / ١٢١٣م).**صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار.**

٢) الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م). **معجم البلدان.**

- ومن كتب الأدب /

١) ابن دحية، أبي الخطاب عمر بن حسن (ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م). **المطرب من أشعار أهل المغرب.**

٢) المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م).**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.**

ثانيا المراجع العربية الحديثة:

١) العدوي: إبراهيم أحمد. **السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى.**

٢) عنان: محمد عبد الله.

- **دولة الإسلام في الأندلس.**
- **مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام.**

٣) مؤنس: حسين.

فجر الأندلس.

٤) أرسلان، الأمير شكيب: (ت ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م)

- تاريخ غزوات العرب في فرنسا، وسويسرا، وايطاليا، وجزائر البحر المتوسط.

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية.

٥) الحجي، عبد الرحمن علي:- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢ – ٨٩٧ هـ / ٧١١ – ١٤٩٢ م.

- أندلسيات

٦) طه: عبد الواحد ذنون دراسات أندلسية (المجموعة الأولى).

الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس.

وبالرغم من الجهد المبذول لأجل الحصول على المصادر إلاَ أنَ الدراسة حرمت من بعض المصادر والمجلات العلمية المتخصصة فضلاً عن آخر البحوث الصادرة من المعهد العربي الأسباني في مدريد ذات العلاقة بالموضوع ومنها كتاب (المقتبس: تحقيق ب. شلميطا)، ومجلة (الأندلس) بسبب الظروف الأمنية الصعبة التي يمر بها العراق. وحسبنا أخيراً أننا بذلنا جهد المستطيع فإن حالفنا التوفيق فمن عند الله تعالى وإن كان غير ذلك فإننا نؤمن بأن الكمال لله وحده والحمد لله رب العالمين.

سعد إبراهيم محمد آل مصطفى

١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

تمهيد

خص الله تعالى الإسلام - عقيدةً ومنهجاً - للبشرية جمعاء ببدوها وحضرها وعربها وعجمها، والإسلام رسالةٌ سماويةٌ نزلت على رسول الله محمد (ص) ليبلغها إلى كل العالمين، قال تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا....)[1]. وبعد أن وصل الإسلام لكل الجزيرة العربية، ساح العرب المسلمون إلى مشارق الأرض ومغاربها للجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر الرسالة الإسلامية بما تحمله من مبادئ سامية للناس كافة.

إنَ إتمام عملية فتح الجزء الأكبر من الشمال الأفريقي، بعد أن وصل إليه تيار الفتح الإسلامي الذي يحمل في طياته قوة ذاتية وأصيلة، أن لا يقف عند الحد الأفريقي مما وصل إليه؛ بل كان لابد له من العبور إلى شبه الجزيرة الأيبيرية[2] Ilberica «Peninsula Espanica» (أسبانيا والبرتغال). وفعلاً تَمَ ذلك فقد فتحها المسلمون سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م وهي تقع كما هو معلوم في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من قارة أوربا التي خضعت قبل مجيء المسلمين إليها لشعوب كثيرة، فقد تعاقب عليها

(١) سورة سبأ : ٢٨.

(٢) كان اسم الأندلس في القديم إبارية من وادي أبرة ويبدو إن الأبيرية اشتقت منه : ينظر : البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد : المسالك والممالك، تحقيق : جمال طلبة، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م): مج ٢ / ٣٧٨.

الفينيقيون والإغريق والقرطاجيون والرومان والوندال " Vandalos " والآلان " Alanos " والسويف " Suevos " والقوط الغربيون [(١)].

إنَ أول من استوطن الأندلس ما بعد الطوفان أقوام عُرفوا بالأندلش ومنهم ظهرت التسمية؛ ولكن بالسين بدل الشين، وكان الذين سكنوها وتكاثروا فيها على دين المجوس والفساد في الأرض، فعاقبهم الله بذنوبهم، ومنع عنهم المطر، ونضبت العيون، ويبست الأرض، وعم القحط، وأقفرت الأرض، فهلك الكثير من السكان وفرّ من استطاع الفرار مِنهم، وأضحت الأندلس خالية بما يزيد على القرن من الزمن، ثم جاءها الأفارقة الذين أجلاهم ملك أفريقيا نتيجة للجفاف المتكرر الذي حل بمملكته وكاد يفنيهم فحمل هؤلاء الأفارقة في سفن وتوجهوا إلى الأندلس بعد أنْ خصص لهؤلاء قائداً يدعى أبطريقس وبعد وصولهم أمطرت السماء، وتفجرت العيون، وجرت الأنهار، ثم هلك الأفارقة، ونسخهم الله بعجم روما فتحول مُلك الأندلس إليهم بعد أنْ كان للأفارقة، وكان ملك المستوطنين الجدد يدعى أشبان بن طيطش ومن هذا الاسم ظهر اسم أشبانية اسماً للأندلس، ويذكر إنَ أشبان هذا هو الذي بني

---

(١) حتاملة، محمد عبده : الاعتداءات الإفرنجية (الصليبية) على ديار العرب في الأندلس والمشرق، ط١، (عمان، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) : ص ١٠. إن الأندلس تسمية لم يطلقها المسلمون عليها؛ وإنّما هي تسمية قديمة سبقت مجيء المسلمين إلى الأندلس كما سيأتي لاحقاً.

اشبيلية التي دعيت أشبانية نسبة إلى أشبان، ثم ما لبث أنْ غلب الاسم بعد ذلك على الأندلس كلها [١].

لقد ظهر للبكري رأي آخر، فيه يقول إنه بعد تسمية الأندلس أبارية سميت بعد ذلك باطقة والمأخوذة من وادي بيطى وهو نهر في قرطبة، ثم أطلق عليها تسمية إشبانية من اسم ملكها في القديم الذي كان اسمه أشبان أو من الأشبان الذين سكنوها في سالف الزمان، وقيل: إن تسميتها إشبارية من بشيرى الكوكب الأحمر، ثم أطلق عليها بعد ذلك الأندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها [٢]. أما اليعقوبي فيشير إلى إن كلمة الأندلس ما هي إلا كلمة أعجمية لم تستعمل من قبَل العرب قديماً ولكن العرب عرفوها في ظل الإسلام وقد أخذت الألسن أنْ تلتزم بالألف

(١) الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم: صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تصحيح / ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م)، ص ١ وما بعدها وينظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري: الكامل في التاريخ، مراجعة: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط٣، (بيروت، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م): ٤ / ٢٦٤ – ٢٦٥؛ أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م): ١ / ١١٢ – ١١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٧٨.

واللام، وكذلك هي عبارة عن جزيرة واسعة فيها عامر وغامر، وتكثر فيها المياه الجارية، والأشجار، والتمر، وفيها الرخص، والسعة في الأحوال(١).

أما فيما يتعلق بمدن الأندلس فهي كثيرة فمنها: أبذة(٢)، أربونة (٣)، إستجة(٤)، أشبيلية (٥). أما قرطبة فإنَ تاريخها في العهد السابق للإسلام يعطي إشارةً إلى أنَ أهمية هذه المدينة الأندلسية متأتٍ من موقعها المهم والمتميز إذْ يحدها سهل قرطبة المنبسط من الشمال والجنوب الذي تحده سلاسل جبال سييرا مورينا وسلاسل سييرا نيفادا، أما مجرى نهر الوادي الكبير فهو متعرج وقد كان ملائماً للملاحة في سالف الزمان وهو ذو فائدة كبيرة إذ يزيد من مناعة الطرق المؤدية إلى قرطبة في حالة الدفاع

---

(١) محمد أمين ضناوي : واضع حواشي كتاب اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح : البلدان، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م)، ص ١٩٢.

(٢) مدينة صغيرة على مقربة من النهر الكبير وللمزيد من التفاصيل ينظر: الحميري،صفة جزيرة الأندلس، ص ١١؛ ملحق رقم(٣).

(٣) مدينة هي آخر ما كان بأيدي المسلمين مما يلي بلاد الإفرنجة وخرجت من أيدي المسلمين سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م ينظر : الحميري، المصدر نفسه، ص ١١ — ١٢؛ ملحق رقم (٣).

(٤) مدينة قديمة تقع بين القبلة والغرب من قرطبة ذات أسواق عامرة وفنادق جمة وللمزيد من التفاصيل ينظر : الحميري، المصدر نفسه، ص ١٤ — ١٥؛ ملحق رقم (٣).

(٥) هي مدينة قديمة أزلية بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام وأصل تسميتها إشبالي ومعناه المدينة المنبسطة وهي قريبة من البحر ويطل عليها جبل الشرف، وتقع على نهر الوادي الكبير. وللمزيد من التفاصيل ينظر : الحميري، المصدر السابق، ص ١٨؛ الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م): ٢ / ١٩٥؛ ملحق رقم (٣).

عنهـا، أمّـا فيمـا يتعلـق باسـمها فقـد كـان اسـمها الإيبيـري الأول بالـشكل والصيغة اللاتينية « كوردوبا » وعند القوط الغربيين يعرف بـ « كورد هوبا» أما اللفظة المتعـارف عليها (قرطبة) فهي باللغة العربية، كما يعتقد بعض الباحثين أنَ لفظة « ترشيش »التي وردت في التوراة هي ذاتها قرطبة. أما موقـع المدينـة فهـي تقـع علـى الـضفة الـشمالية لنهـر الـوادي الكبيـر فـي الجنـوب مـن إسـبانيا « الأنـدلس »، أمـا الرومـان فقـد أسـموها « كولونيا باتريكيا » بعدما سيطروا عليها بقيادة قائدهم ماركيللوس سنة ١٥٢ ق. م فأصـبحت عاصـمة لمـا يعـرف بـ إقليم هـسبانيا القـصوى ثـم مـا لبثـت أنْ أصبحت أحد المراكز القضائية في زمن أوغسطس، وفي أيام الإمبراطورية أضحت قرطبة على جانب كبير من الأهمية، كونها مركزاً ثقافياً، وتجارياً، ثـم صـارت مركـزا دينيـا وسـاحةً للنزاعـات المـسيحية بـين الكاثوليـك والآريوسيين وذلك في سنة ٥٧٠ م، واستمر سطوع نجم هذه المدينة في زمن القوط الغربيين وأصبحت من المراكز الإدارية المهمة بعدما سقطت بأيديهم سنة ٥٧١ م بيد ملكهم ليوفيجيلدو (Leovigildo) [1].

ويشير الدكتور سالم في كتابه (تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس) إلى أن قرطبة استمرت تحت سيطرة البيزنطيين حتى سنة ٥٦٨ م عندما أصبحت مركزا أسقفيا، ثم ما لبث نجم قرطبة أنْ أخذ بالأفول وراحت

(١) هيلنبراند، روبرت : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحر : سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، (بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) : ١ / ١٨٤.

قرطبة تفقد تدريجياً أهميتها أمام مدينة طليطلة التي فاقتها منذ نهاية القرن الأول الهجري عندما فتحت من لدن المسلمين سنة ٩٢ هـ/ ٧١٢م [١].

لقد وصف قرطبة كثير من الكتاب، فهذا محقق كتاب المقري يشير إلى إن مدينة قرطبة بضم القاف وسكون الراء وضم الطاء وفتح الباء مخففة من مدن الأندلس العظيمة التي تقع في وسط بلاد الأندلس، والمسافة بينها وبين البحر خمسة أيام وكانت مستقرا لملكها، وبها النبلاء والفضلاء، وهي من المدن الحصينة وقد سورت بسور من الحجارة، ولها بابان مشروعان في جسم السور تؤديان إلى طريق الوادي من الرصافة، والرصافة مساكن أعالي البلد متصلة بأسافله من ريفها وأبنيتها متداخلة محيطة من شرقيّها وغربيّها وشماليّها وجنوبيّها [٢].

أما المقدسي في أحسن التقاسيم فوصفها قائلاً: «قرطبة هي مصر الأندلس،... هي أجلّ من بغداد، في صحراء يطل عليها جبل ولها مدينة جوانية وربض، الجامع في المدينة وأسواق وأغلب الأسواق، ودار السلطان في الربض قدامها واد عظيم سطوحهم قراميط، الجامع من حجر وجيل وسواريه رخام حواليه مياض، وللمدينة خمسة أبواب: باب الحديد

(١) سالم، عبد العزيز : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، (بيروت، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م)، ص ٢٩٤.

(٢) محمد محي الدين عبد الحميد، محقق كتاب / المقري، احمد بن محمد التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٩ م) : ١ / ١٤٥ الهامش.

باب العطارين باب القنطرة باب اليهود باب عامر، وقد دلت الدلائل واتفقت الآراء على أنه مصر جليل رفق طيب، وأن ثم عدلا ونظرا وسياسة وطيبة ونعما ظاهرة ودينا،...»[١]. وكذلك وصفت بأنها: قاعدة للأندلس، ومقر للخلافة، ودار للإمارة، وهي أم المدن[٢]. «وحضرة قرطبة، منذ استفتحت الجزيرة، هي كانت منتهى الغاية، ومركز الراية، وأم القرى، وقرارة أهل الفضل والتقى، ووطن أولي العلم والنهى، وقلب الإقليم، وينبوع متفجر العلوم، وقبة الإسلام، وحضرة الإمام، ودار صوب العقول، وبستان ثمرة الخواطر، وبحر درر القرائح؛ ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر، وفرسان النظم والنثر؛...»[٣].

إن قرطبة مدينة أندلسية وموقعها غرب أسبانيا، وكانت قرابة الخمسة قرون تُمثل مركزاً للحضارة الإسلامية في أوربا وقد راحت تنافس العديد من المدن ذات الشأن أمثال بغداد العباسيين، وقسطنطينية البيزنطيين،

---

(١) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، و ض. م : محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م)، ص ١٩٢.

(٢) ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري التونسي : تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تح : أحمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، (مدريد، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م)، ص ١٤١.

(٣) ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني " نسبة إلى شنترين بالبرتغال " : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح : سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) : ١ / ١٩.

فضلاً عن القاهرة عاصمة الفاطميين، ونتيجة لما وصلت إليه قرطبة من مكانة رفيعة تقاطر عليها المبعوثون مِنْ كل حدب وصوب من أباطرة البيزنطيين، وألمانيا، ومن ملوك فرنسا، وايطاليا وغيرها من ممالك أوربا وشمال أسبانيا [١]. لقد تبوأت الأندلس مركز الصدارة في القرن الرابع الهجري لما تملكه من قوة، وسلطان ليس في العالم الإسلامي فحسب؛ وإنما في العالم المسيحي بأسره، أو ما يعرف بالنصراني أيضاً، إذ أضحت العاصمة قرطبة مركز جذبٍ واستقطاب للدبلوماسية حيث كانت ترنو إليها أبصار الدول، ترغب في رضاها وتتطلع لصداقتها، وعقد السلام، وحسن الجوار معها [٢].

لقد وصلت قرطبة إلى قمة مجدها في عصر الخلافة؛ بل كانت في ظل حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر(٣٠٠ – ٣٥٠ هـ / ٩١٢ – ٩٦١ م) من مدن العالم الإسلامي العظيمة إذ اشتهرت بمكانتها العلمية والثقافية، فضلاً عن ثروتها الضخمة [٣].

---

(١) http:// www. Islamweb. Net / ver٢ / archive / readart.php ?lang =a &id = ٨٩٥٥٥.

(٢) حسين، كريم عجيل : الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية (٩٢ – ٤٩٥ هـ = ٧١١ – ١١٠٢ م)، مؤسسة الرسالة، ط١، (بيروت، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م)، ص ١٠٤ – ١٠٥.

(٣) لويس، ارشيبالد : دراسات إسلامية، دار الأندلس للطباعة والنشر، تر : أنيس فريحه وآخرون، (بيروت، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م)، ص ١٧٠. Incyclopaedia Britannica., Inc : The new Encyclopaedia Britannica , Ed / ١٥ , (U. S.A , ١٩٧٩) , P. ٩٦١.

وبعد هذه الصورة الموجزة عن الأندلس وقرطبة نستطيع العودة إلى عملية فتح الأندلس، إذ كان يحكمها قبل الفتح الإسلامي القوط الغربيون (Visigoths)، وكانت تعاني من تردي الأوضاع الداخلية؛ بسبب السياسات القوطية التي كان من آثارها المترتبة عليها اضطراب حياة سكانها وانتشار الفوضى والاستغلال، فضلاً عن التخاصم والنزاع فيما بين طبقات المجتمع ومن يحكمهم الذين يعيشون في ترف [١]، فضلاً عن أولاد ملك الأندلس السابق (غيطشة) الذين رفضهم أهلها ونقمتهم على (لذريق) الذي استغل وفاة أبيهم وانتزع الحكم لصالحه بعد أن استمال أهل الأندلس و مجموعة من الرجال إليه [٢].

كذلك تشجيع يليان للعرب المسلمين الفاتحين انتقاما من (لذريق)[٣] Roderic حاكم الأندلس في قصته مع ابنة(يليان) ونص القصة يقول: كان من عادة الأشراف بالأندلس في ذلك الوقت وجرياً على عادةٍ اعتادوا عليها إرسال أولادهم الذين يبغون منفعتهم إلى بلاط الملك

(١) الحجي، عبد الرحمن علي : التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢ – ٨٩٧ هـ / ٧١١ – ١٤٩٢ م، ساعدت جامعة بغداد على نشره، دار القلم، ط ١، (دمشق، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م)، ص ٢٩.

(٢) المقري، المصدر السابق : ١ / ٢٣٤ – ٢٣٥.

(٣) هو Rodrigue رودريق والعرب تقول لذريق آخر ملوك القوط بأسبانيا كان أبوه دوق قرطبة فغضب عليه غيطشة ملك البلاد وسمل عينيه. فثار لذريق على غيطشة، وقاتله، وهزمه. واستولى على عرش أسبانيا مكانه. ينظر: أرسلان، شكيب: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، منشورات دار مكتبة الحياة،(بيروت، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م)، ص ٤٥ الهامش.

بطليطلة ليصبحوا في خدمته، ويتعلموا ويتثقفوا، ويتأدبوا بآداب الملك، وينالوا من كرامته، حتى إذا بلغوا تزوج بعضهم بعضا، وحمل صدقاتهم، وتولى تجهيز إناثهم إلى أزواجهن، فصادف أن فعل ذلك يليان حاكم مدينة سبته وعاملها للذريق، وكانت يومئذ تابعة إلى صاحب الأندلس، وأهلها على دين النصرانية، وقد بعث بابنته فائقة الجمال إلى هناك وقد رآها لذريق وسحر بجمالها عندما وقعت عينيه عليها ثم حاول أن ينال منها ولكنها رفضت وقاومته فما كان منه إلا أن لجأ إلى القوة واعتدى على شرفها رغماً عنها، فاحتالت حتى أبلغت أباها بمكاتبةٍ بما حصل لها سراً، فغضب غضباً شديداً، وثارت حميته، وأقسم وتوعد لذريق بإزالة ملكه، وكان غضبه هذا من فاحشة ملك القوط سبباً في فتح الأندلس [١].

لقد كان موسى بن نصير (١٩ – ٩٧ هـ / ٦٤٠ – ٧١٥ م)[٢] والي المغرب من لدن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦ هـ /

---

(١) المقري، المصدر السابق : ١ / ٢٣٥ – ٢٣٦.

(٢) هو أبو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي صاحب فتح الأندلس وكان أمير إفريقيا والمغرب، وليها في سنة تسع وسبعين وللمزيد من التفاصيل ينظر : الحميدي، أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الأندلسي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تح :روحية عبد الرحمن السويفي،دار الكتب العلمية، ط ١،(بيروت، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م)، ص ٣٠٤؛ الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة : بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس : تح : روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م)، ص ٣٩٩؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح : إحسان عباس، دار الثقافة، (بيروت، د. ت): ٥ / ٣١٨ وما بعدها.

٧٠٥ – ٧١٤ م) قد استشار الخليفة الوليد في عملية فتح الأندلس لكن الخلافة ترددت في بادئ الأمر خوفاً، وحفاظاً على أرواح المسلمين إلا أن موسى بن نصير استطاع إقناع الخليفة بفتح أسبانيا وقد تم الاتفاق على إرسال حملة استطلاعية.

تسبق عملية الفتح [(١)]. فأرسلت سرية استطلاعية سنة ٩١ هـ / ٧١٠ م بقيادة أبي زرعة طريف [(٢)] استجابةً لما تَمَ الاتفاق عليه فيما بين الخلافة، وموسى بن نصير، وتكونت تلك السرية من مئة فارس، وأربعمائة راجل وقد حققت هذه السرية ما كان مرجواً منها [(٣)].

إن النجاح الذي حققته سرية طريف شجع طارق بن زياد [(٤)] في التوجه إلى الأندلس، ففي سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م غزا الأندلس والتقى بملكها(أدرينوق) وقتله وأسر وسبى الكثير. وكانت غنائمه لا تحصى وقد

(١) الحميري، المصدر السابق، ص ٨ و ينظر : المقري، المصدر السابق : ١ / ٢٣٧.

(٢) هو طريف بن مالك بن جدعان من طيئ من القحطانية، مسلم بربري ومولى موسى بن نصير، سميت الجزيرة التي وصل إليها باسمه (جزيرة طر يف) ينظر : الحميري، المصدر السابق، ص ٨؛ المقري، المصدر السابق : ١ / ٢١٤؛ الزركلي، خير الدين : الأعلام، قاموس تراجم، دار العلم للملايين، (بيروت، د. ت) :٣ / ٢٢٦.

(٣) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة، نشره اميلو لا فونتي. الكنترا، (مدريد، ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م) ص ٦ وينظر : المقري، المصدر السابق :١ / ٢١٤.

(٤) هو طارق بن زياد الليثي (٥٠ – ١٠٢ هـ / ٦٧٠ – ٧٢٠ م) أول من غزا الأندلس سنة اثنتين وتسعين أصله من البربر اسلم على يد موسى بن نصير فكان من اشد رجاله ولما تم لموسى فتح طنجة ولى عليها طارقا. ينظر : الحميدي، المصدر السابق، ص٢١٧؛ الزركلي، المرجع السابق : ٣/ ٢١٧.

سيطر على الكثير من المدن بعد قتال شديد فائدتُه فتح الأندلس في نفس سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م[1].

وبعد هذا النصر الذي حققه طارق بن زياد، وتوغله في بلاد الأندلس كتب موسى بن نصير إلى طارق يؤنبه على تعريض أرواح المسلمين للخطر. وأمره أنْ لا يتجاوز قرطبة، ثم عبر موسى بن نصير إلى الأندلس سنة ٩٣ هـ / ٧١٢ م استكمالاً للفتح[2].

لقد أتم الجيش الإسلامي بقيادة موسى بن نصير، وطارق بن زياد فتح معظم أراضي الأندلس[3]؛ بعد عمليات حربية مستمرة استمرت طوال

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط ٤،(القاهرة، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م)، ٦ / ٤٦٨ وينظر: ابن الأثير، الكامل، ٤ / ٢٦٤؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان : دول الإسلام، تح : حسن إسماعيل مروه، قر و قد: محمود الأرناؤوط، دار صادر، (بيروت، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) ١: / ٧٩.

(٢) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر : فتوح البلدان، تح : عبد الله أنيس الطباع و عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، (بيروت، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)، ص ٣٢٣ وينظر : المؤلف المجهول، أخبار مجموعة، ص ١٥.

(٣) للتعرف على المناطق التي وصلها الجيش العربي الإسلامي في الأندلس. ينظر : ملحق رقم (١).

ثلاث سنوات ونصف السنة منذ رجب سنة ٩٢ هـ / نيسان ٧١١ م حتى ذي القعدة سنة ٩٥ هـ / أيلول ٧١٤م [١].

مما تقدم يمكن ملاحظة انهماك جيش الفتح العربي الإسلامي، والقيادة الإسلامية في الأندلس، وانشغالها بالعمليات العسكرية، وتحركات الجيش المسلم، ومطاردة الفلول المنهزمة. وإنَ هذا الأمر انعكس بدوره على العمل الدبلوماسي، والسفارات؛ إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تظهر سفارات في هذا الوقت، أي في مرحلة الفتح.

إن العصر الذي يبدأ من ٩٥ – ١٣٨ هـ / ٧١٤ – ٧٥٥ م اصطلح عليه بعصر الولاة الذي بدأ بولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير وينتهي بقيام الإمارة الأموية في الأندلس بقيادة عبد الرحمن ابن معاوية سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٥ م [٢]. وقد كان الولاة في الأندلس يعينون [٣] من لدن بني أمية أومن لدن من يقيمونه في القيروان، أو مصر. وعندما اضطرب أمر بني أمية سنة ١٢٦ هـ /٧٤٣م بمقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ – ١٢٦ هـ /

---

(١) عنان، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، ط ٤، (القاهرة، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م)، ص ٤٠، ٥٦ وينظر : حسين، المرجع السابق، ص ٩٦.

(٢) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ١٣١.

(٣) كانت الأندلس في عهد الخلفاء الأمويين تابعة إلى والي إفريقيا، حتى عهد عمر بن عبد العزيز (ﷺ) فأصبحت تابعة للخلافة في دمشق ومن ثم رجعت إلى ما كانت عليه. ينظر / عبد الله انيس الطباع، محقق كتاب / ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عبد العزيز : تاريخ افتتاح الأندلس،دار النشر للجامعيين،(بيروت، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م)، ص ٣٨ الهامش.

٧٤٢ – ٧٤٣ م) انشغلوا عن البلاد البعيدة. وقد حدث أن تردت الأوضاع في إفريقيا، وحدث اختلاف بين القبائل في الأندلس مما جعل تلك القبائل تتفق على تقديم شخص قرشي تجتمع عليه كلمة المسلمين هناك. واختاروا يوسف بن عبد الرحمن الفهري. وسارت الأمور إلى أن وصل عبد الرحمن بن معاوية [1].

إنَ عصر الولاة هذا اتسم بسماتٍ ومظاهر عدة جعلته مكملاً لما سبقه، وإن أولى تلك السمات تمثلت في عملية إتمام ما بدأ من فتوحات كانت قد بدأت أيام موسى بن نصير

وطارق بن زياد. و من سمات هذا العصر كذلك النشاط البارز، والواضح في العمليات الجهادية وراء جبال ألبرت – سلسلة جبلية تفصل اسبانيا عن فرنسا – التي قام بها عدد من الولاة أمثال السمح بن مالك الخولاني [2] (١٠٢ هـ / ٧٢٠ م) و عنبسة بن سحيم الكلبي [3] (١٠٧ هـ /

(١) المراكشي، عبد الواحد بن علي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، و ض ح : خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، ط ٢ (بيروت، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م)، ص ١٤ – ١٥.

(٢) هو السمح بن مالك الخولاني، استشهد في قتال الروم بالأندلس في ذي الحجة يوم التروية سنة ثلاث ومائة. ينظر : الحميدي، المصدر السابق، ص ٢٠٩؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٢٧٤.

(٣) ولي من لدن بشر بن صفوان أمير أفريقيا سنة ست ومائة في أيام هشام بن عبد الملك ومات سنة سبع ومائة. ينظر : الحميدي، المصدر نفسه، ص ٢٨٨؛ الضبي، المصدر نفسه، ص ٣٨٠.

٧٢٥م) وعبد الرحمن الغافقي [١] في ولايته الثانية(١١٤ هـ / ٧٣٢ م) - استشهد في موقعة بلاط الشهداء [٢] - وعقبة بن الحجاج

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي العكي ولي الأندلس من لدن عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب إفريقيا، وعبد الرحمن الغافقي من التابعين، استشهد في قتال الروم بالأندلس سنة خمس عشرة ومائة. وللمزيد من التفاصيل ينظر : الحميدي، المصدر نفسه، ص ٢٤٢ – ٢٤٣؛ الضبي، المصدر نفسه، ٣١٨ – ٣١٩.

(٢) وقعت هذه المعركة في فرنسا مابين بواتيه، و تور جنوبي مجرى اللوار في موضع قريب من طريق روماني قديم يسمى بالبلاط وقد خسر الجيش العربي الإسلامي هذه المعركة وكان جيش الفرنجة بقيادة شارل مارتل سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢ م. ظن الكثيرون أنَ المراد بلفظ (بلاط) طريق مبلط، وترجمها النصارى إلى pave ولكن المراد بلفظ بلاط في الأندلس قصر أو حصن حوله حدائق تابعة له، فيقولون (بلاط مغيث) و (بلاط الحر) و (بلاط يوسف). ويقصدون بذلك قصور أولئك الرجال، واللفظ مشتق من palatum اللاتينية وعلى هذا فبلاط الشهداء معناها في الواقع (قصر الشهداء)، مما يفهم منه إن مكان الموقعة كان إلى جوار قصر أو حصن كبير. ينظر : مؤنس، حسين : فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط١، (القاهرة، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م)، ص ٢٧١ الهامش؛ مؤنس، حسين : موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد، د. ت) : ١ / ٤٣ – ٤٥؛ حتي، فيليب : تاريخ العرب، تر : محمد مبروك نافع، منشورات دار المعلمين العالية بغداد، (بغداد، ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م) : ٣ / ١١ – ١٤؛ العمري، عبد العزيز بن إبراهيم : الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار اشبيليا، ط١، (الرياض، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م)، ص ١٨٥ – ١٨٨؛ طه، عبد الواحد ذنون : الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار الرشيد، (بغداد، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م)، ص ٣٤٦. وهناك من يعتقد أنَ موقعة بلاط الشهداء سبقتها مقدمات تمثلت في معارك محدودة، وعندما راح الزحف العربي الإسلامي يهدد مدينة مملكة أكوتين ودوقها أودو طلب هذا الأخير المعونة من شارل مارتل وحدث الموقف الحاسم قرب بواتيه ١١٤ هـ / ٧٣٢ م. ينظر : Gerard Labrune , Philippe Toutain : L histoire de France ., Nathan ,(France , ٢٠٠٢) , P. ٢٤

السلولي[1] (١٢١ هـ / ٧٣٨ م)، ويمكن هنا أن نضيف لما تقدم حالة التبدل السريع للولاة في الأندلس إذ استشهد عدد غير قليل منهم فضلاً عن الاضطرابات

الداخلية التي كانت تعصف بالأندلس بين الحين والآخر [2]. من خلال ما تقدم نستطيع أن نصل إلى حقيقة مفادها: أن العمل الدبلوماسي، والسفارات المنطلقة من الأندلس إلى الممالك الأوربية لم يكن لها أثر نتيجة لانشغال المسلمين بعمليات الفتح من جهة، ومن الأخرى لأن الممالك المسيحية في شمال وشمال غربي الأندلس لم تتبلور بعد وتظهر إلى الوجود ككيانات يمكن أن تقيم معها علاقات دبلوماسية، أو سفارات. لقد استمر عصر الولاة حتى سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٥ م هذه السنة التي يبدأ بها ما اصطلح عليه بعصر الإمارة. وأول أمير هو عبد الرحمن بن معاوية وقد شهد هذا العصر الذي يبدأ منذ قيام الأمارة الأموية من منتصف القرن الثامن، وحتى القرن العاشر الميلادي (القرن الثاني وحتى الرابع الهجري) في الأندلس، شهد تطوراً عم المجتمع الأندلسي سمح بظهور طبقة متوسطة بدأت تحل بشكل بطيء محل طبقة النبلاء، وأصل هذه الطبقة من البربر إن عملية الالتقاء التي تمت بين (الغزاة) للأندلس، والأسبان

---

(١) هو عقبة بن الحجاج ولي الأندلس في أيام هشام بن عبد الملك من لدن عبيد الله بن الحبحاب والي مصر وأفريقيا وما والاهما، وهلك عقبة بالأندلس ينظر : الحميدي، المصدر السابق، ص ٢٨٧؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٣٨٠.

(٢) حسين، المرجع السابق، ص ٩٧ – ٩٨.

القوطيين بلور ظهور المجتمع الاسباني المسلم بعد أن تحول القوط الأسبان إلى اعتناق عقيدة المتنصرين لأجل الحصول على فوائد اقتصادية، واجتماعية من المسلمين[1].

ويبدو مما سبق ذكره إن الكاتب الأسباني يتحدث بذاتية أكثر منها موضوعية حين يصف العرب، والمسلمين الفاتحين بأنهم غزاة، وهذا وصف غير دقيق لأن العرب والمسلمين حملة رسالة سماوية إلى كل المعمورة وكان هدفهم الأساسي نشر الدين الإسلامي لا الغزو، وحين يتحدث الكاتب أيضاً عن إسلام القوط الأسبان فإنه يظهر ذاتيته أكثر عندما يجعل إسلامهم لغرض الحصول على مكاسب اقتصادية واجتماعية في حين يتناسى الوضع المزري الذي كان يعيشه سكان أسبانيا قبل الفتح الإسلامي، والصراعات الداخلية فيما بينهم، كذلك أغفل الكاتب سماحة الإسلام وخلق المسلمين العالي الذي جذب إليه الكثيرين وجعلهم يعتنقون الإسلام طواعية لا لمصلحة شخصية؛ ولكن رغم هذا وذاك قد يكون هناك من بين سكان أسبانيا من اعتنق الإسلام لمصلحة خاصة، إلا أن هؤلاء أعداد قليلة إذا ما وازنتهم بمن اعتنق الإسلام حباً بدين الله، والرسالة الإسلامية السمحة.

---

(١) J. A.Garcia de cortazar , Historia de Espana Alfaguara II ,Alianza Editorial S. A , (Madrid , ١٩٧٣) , p. ٨٥.

الفصل الأول

(السفارات مفهوما وهدفا)

المبحث الأول / مفهوم الدبلوماسية والسفارة

المبحث الثاني / أهداف السفارات

يعود أصل كلمة الدبلوماسية Diplomacy إلى كلمة يونانية هي دبلون Diplun التي تعني يطوي [1] إلا أَن الدراسات الحديثة تشير إلى أنَ أصل كلمة الدبلوماسية يعود إلى كلمة دبلوما Diploma وليس دبلون Diplun. وقد كان الرومان يطلقون على وثيقة السفر المعدنية المطوية، والمختومة بالدبلوم Diploma [2] وبمرور الزمن اتسع معناها حتى أصبحت تشمل المعاهدات، والاتفاقيات فضلاً عن الوثائق الرسمية. وفي القرن الخامس

---

(١) هناك من يقول : إن كلمة دبلوماسية مشتقة من الفعل اليوناني " يطوى ". ينظر : غربال، محمد شفيق وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان، (بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م)، ١ / ٧٨٣.

(٢) محمد، فاضل زكي : الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، ط١، ساعدت وزارة المعارف على نشره، (بغداد، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠م)، ص٧ وينظر: الفتلاوي، سهيل حسين : تطور الدبلوماسية عند العرب، دار القادسية للطباعة، (بغداد، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠م)، ص ١٣؛ Satow , Ernest : Aguide Diplomatic Practice (London , ١٩٥٧) P.٢.

عشر الميلادي صار معناها يشمل توجيه العلاقات الدولية، أو الأعمال المتعلقة بتلك العلاقات [1].

لقد اختلفت المفاهيم حول كلمة الدبلوماسية فهناك من يستخدمها لكي تعطي مفهوم السياسة الخارجية، وآخرون استخدموها لكي تشير إلى حسم الخلافات التي تنشأ بين الدول؛ فضلاً عن الذين يشيرون من خلالها إلى ما يدل على الموهبة، والنباهة. والدبلوماسي يختص في علم وفن الدبلوماسية كما يفهمه بعض آخرون [2].

ومما تجدر الإشارة إليه أن اليونان كانت السباقة في وضع نظام وأسلوب لممارسة الاتصالات الدبلوماسية، وأسلوبها. ومما يثبت ذلك التعابير اللغوية القديمة التي ابتكروها للتداول فيما بينهم لعقد الاتفاقيات. وكان اليونانيون أول من وضع الألفاظ المناسبة التي تشير إلى فَض الخصومات مثل: التسوية، والمصالحة، والموافقة وغيرها [3]. أمّا فيما يتعلق بالوظيفة الدبلوماسية فإن موسم ازدهارها لم يظهر إلاّ في العصر

(١) محمد، المرجع السابق، ص ٧ – ٨. وينظر: الفتلاوي، المرجع نفسه، ص. ن.

(٢) المرجع نفسه، ص٨.

(٣) نيكولسون، هارولد : الدبلوماسية عبر العصور، د. تر، دار الكتاب العربي، (بيروت، د. ت)، ص ٨.

الإغريقي؛ وذلك لأنَ النظام السياسي الموجود آنذاك يرتكز على أساس المدينة–الدولة(city-state)[(١)].

إن تعدد المدن، ورغبة البعض منها في الاستحواذ والسيطرة؛ فضلاً عن قيام الاتصالات فيما بينها. كل هذا جعل الوظيفة الدبلوماسية تصبح من متطلبات أو من ضرورات ذلك المجتمع الإغريقي. إلا أنَ الريبة، والخوف من قلب نظام الحكم عن طريق المؤامرات أدى إلى أن أصبح قادة أو زعماء المدن يفضلون الدبلوماسية المؤقتة على الدبلوماسية الدائمة[(٢)].

أمَا الوظيفة الدبلوماسية خلال العصر الروماني فإنها لم تكن بالمستوى الذي وصلت إليه في العصر الإغريقي. فالإمبراطورية الرومانية التي كانت تحكم أجزاء كبيرة وواسعة من الأرض كانت لا تسمح بوجود كيانات سياسية منافسة أو متساوية معها. ومنْ ثَم فقد أثر ذلك على العمل الدبلوماسي، إلا إن هذا الأمر لم يبق على حاله فبعد أن دب الضعف، وظهرت كيانات سياسية تقف بوجه الرومان وإمبراطوريتهم اضطروا إلى استخدامهم للدبلوماسية[(٣)]. ولكنهم استخدموها بطريقة مختلفة عما جاء به الإغريق، وصيروها حتى تخدم أهداف توسيع سلطانهم ونفوذهم

(١) المجذوب، محمد:القانون الدولي العام، منشورات الحلبي الحقوقية، ط٥،(بيروت، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) ص٥٨٩.

(٢) المجذوب، المرجع السابق، ص ٥٩٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٩.

[1]. بعد كل ما تقدم فإن دبلوماسية المجتمعات البدائية القديمة هي: دبلوماسية غير دائمة بمعنى: إنها كانت على هيئة بعثات غرضها القيام بمهمة معينة. وإذا ما تم إنجاز هذه المهمة عادت تلك البعثات من حيث أتت [2].

أما الدبلوماسية الدائمة فقد ظهرت في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي [3]. ويبدو إن هذا التاريخ غير دقيق فيما لو وازناه بما ذكره عبد الرحمن علي الحجي في كتابه أندلسيات وفيه يقول: بأنه عثر على تمثيل دبلوماسي دائم بين الأندلس، والشمال الأسباني في زمن الحكم المستنصر ٣٥٠ – ٣٦٦ هـ / ٩٦١ – ٩٧٦ م [4]. وكذلك ما ذكره الفتلاوي من أن العرب في العراق عرفوا البعثات الدبلوماسية الدائمة؛ حيث عين الخلفاء العباسيون ممثلين لهم في كل من مدينتي «نيسابور و مرو» [5].

---

(١) محمد، المرجع السابق، ص ١٧.

(٢) المجذوب، المرجع السابق، ص ٥٩١.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٩٤.

(٤) الحجي، عبد الرحمن علي: أندلسيات، دار الرشاد، ط١، (بيروت، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م): ١ / ٤٤.

(٥) الفتلاوي، المرجع السابق، ص ١١٣. أما نيسابور فهي مدينة كبيرة في خراسان فتحها عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) سنة ٣٠ هـ / ٦٥٠ م، أما مرو فهي أشهر مدن خراسان فتحها حاتم بن النعمان الباهلي وقيل: إن الأحنف بن قيس حضر فتحها في خلافة عثمان (رضي الله عنه) أيضاً سنة ٣١ هـ / ٦٥١ م وللمزيد من التفاصيل عن المدينتين ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ٩٥ – ١٠٠. كما عين الملوك والأمراء الأجانب

مفهوم الدبلوماسية والسفارة

إن الدبلوماسية هي: «عملية إدارة وتنظيم العلاقات الدولية عن طريق المفاوضة، وهي طريقة تسوية وتنظيم هذه العلاقات بواسطة السفراء والمبعوثين، كما إنها المهمة الملقاة على عاتق الدبلوماسي أو قُلْ: إنها فنه»[1].

وعرّفها آخرون بأنها: «عملية التمثيل والتفاوض التي تجري بين الدول والتي تتناول علاقاتها ومعاملاتها ومصالحها»[2]، أو «الطريقة التي يسلكها أشخاص القانون الدولي العام لتسهيل قيام علاقات ودية وسلمية بينهم»[3]، أو «هي مجموعة العلائق التي تربط دولة من الدول بالدول الأخرى، ومجموعة النظم، والأساليب التي تجرى عليها في تنظيم هذه

والبابا ممثلين لهم في قصر الخلافة العباسية وأطلق عليهم لفظ شاهناس. ينظر: الفتلاوي، المرجع السابق، ص ١١٣.

(١) محمد، المرجع السابق، ص٨. واعتبرت الدبلوماسية كفن لإقناع الآخرين بالامتثال لما فيه تحقيق المصلحة القومية. ينظر: بدوي، محمد طه: مدخل إلى علم العلاقات الدولية، دار النهضة العربية،(بيروت، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م) ص ٢٩٨.

(٢) مقلد، إسماعيل صبري: العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات، منشورات ذات السلاسل، ط٥، (الكويت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م)، ص ٣٩١.

(٣) المجذوب، المرجع السابق، ص٥٩٠.

العلاقات. أوهي بعبارة أخرى السياسة الخارجية لدولة من الدول وما تنطوي عليه من بواعث، وأهداف»[١].

وتأسيساً على ما تقدم فإن هذه المفاهيم، أو التعاريف للدبلوماسية تشير في الغالب إلى أنها عملية تنظيم العلاقات بين الدول لحل ما قد يحدث من تعكير لصفو تلك العلاقات، وإن من يقوم بهذه المهمة هو المبعوث الدبلوماسي. إن المبعوث الدبلوماسي تسميه العرب سفيراً، أو رسولاً، أو مستأمناً، ومن الناحية العملية فإن الكلمتين (رسول، وسفير) تؤديان معنىً واحداً أما المستأمن فهو الرسول الأجنبي القادم من دار الحرب إلى الدولة الإسلامية وقدأطلق العرب على البعثة الدبلوماسية عدة مسميات مثل: رسل، سفارة، وفد، بعثه[٢].

أما فيما يتعلق بالسفارة من الناحية اللغوية فهي من «سَفَر بين القوم يَسْفِر بكسر الفاء (سِفَارَةً) بالكسر أي أصلح...، وسَفَرَ خرج إلى السَفَر وبابه جلس فهو سافِرٌ...، وسفرت المرأة كشفت عن وجهها فهي سافر»[٣] وفي هذا السياق يظهر لنا أن السفارة تعني أصلح. وقد جاءت من الفعل سفر؛ ولكن هذا الفعل لم يأت بمعنى واحد بل جاء بمعان عدة مخالفة

(١) عنان، محمد عبد الله: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، مؤسسة الخانجي، ط ٤، (القاهرة، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م)، ص ٢٠٢.

(٢) الفتلاوي، المرجع السابق، ص٧.

(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م)، ص٣٠١.

لما ذكرناه فقد ورد في لسان العرب لابن منظور أن «السفير: ما سقط من ورق الشجر وسفر البيت وغيره يسفره سفرا: كنسه»[١]، «والسَفْر: القوم المسافرون، وأحدهم سافر مثل صاحب وصحب»[٢]. والسفر: الكتاب والجمع أسفار كما ورد في قوله تعالى: (كمثل الحمار يحمل أسفارا...)[٣] والسفير بين القوم: من قام بينهم في الصلح وسَفَرَ يسفِر، ويسفُر سَفْراً، وسَفارةً، وسِفاراً، وتجمع كلمة سفير على سفراء مثل عليم على علماء [٤]. كما وردت السفارة على أساس أنها عمل السفير، ومقامه ثم ورد السفير بمعنى «الرسول» الذي يصلح بين قومين [٥]، ومن أصلح بين القوم فهو سفير. وأسْفَرَ من دخل في سَفَرِ الصُبحِ ويقال سَفَرَه تَسفيراً بمعنى أرسله إلى السفر [٦]. وعندما يقال سفر بين القوم سفارة إذا أصلح بينهم. ويعود سبب ذلك إلى انه أزال ما بينها من عداوة،

---

(١) ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، (بيروت، د. ت): ٤ / ٣٦٧.

(٢) ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن: كتاب جمهرة اللغة، حققه وقدم له الدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط ١، (بيروت، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م): ٢ / ٧١٧.

(٣) سورة الجمعة: ٥.

(٤) ابن دريد، المصدر السابق: ٢ / ٧١٧.

(٥) مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة،(استانبول، ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م): ١ / ٤٣٣.

(٦) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشافعي الشيرازي: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م): ٢ / ١١٣.

وخلاف[١]. «والسفر بياض النهار وأسفرت أصبحت وأسفر الصبح، تقول: رح بنا إلى المنزل بسفر أي قبل الليل. ووجه مسفر:منير مشرق سروراً وحسناً. والسفير: رسول بعض القوم إلى قوم، وهم السفراء»[٢]. «وسفارة كسحابة (وسفارة) بالكسر وهي كالكفالة والكتابة يراد بها التوسط للإصلاح (فهو سفين) كأمير وهو المصلح بين القوم. وإنما سمي به؛ لأنه يكشف ما في قلب كل منهما ليصلح بينهما. ويطلق أيضاً على الرسول لأنه يظهر ما أمر به وجمع بينهما الأزهري [ت ٣٧٠ هـ/ ٩٨٠ م] فقال هو الرسول المصلح...»[٣]. والسفْرُ: هو وصف للكتاب الكبير أو جزء من أجزاء كتاب الديانة اليهودية التوراة، أما السَفَرَةُ: فهم الكتبة، وجمعُها سافر، الملائكة يحصون الأعمال[٤].

من خلال ما تقدم عن السفارة يمكن أن نصل إلى تحديد مفهومها في ضوء ما سبق ذكره بأنها «العمل الذي يقوم به السفير من وفاق، أو إصلاح بين طرفين بعد إزالة أسباب الخلاف الناشئ. وإرجاع الأمور إلى نصابها الصحيح أو إدامتها وتطويرها بما ينسجم مع مبادئ الصلح. ويمكن أن

(١) ابن فارس، أبو الحسنين احمد بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، (بيروت، د. ت): ٣ / ٨٢.

(٢) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد: العين، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط٢، (د. م، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ م): ٢ /٢٤٦.

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات مكتبة الحياة، (بيروت، د، ت): ٣ / ٢٧٠.

(٤) الفيروز آبادي، المصدر السابق: ٢ / ١١٣.

تكون السفارة هي المكان الذي يقيم فيه السفير» وإن من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن هذا المفهوم للسفارة له ارتباط وثيق بالدبلوماسية من خلال كون السفارة جزءاً لا يتجزأ من العمل الدبلوماسي.

وما دام الحديث يدور حول الدبلوماسية، والسفارة لذا وجب توضيح مفهوم مشابه لهما، وهو الوفد إذ وردت كلمة وفد في قوله تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) [1]، والوفد: هم القوم الوافدون، وعند الجمع يصبح وفود، وعندما نقول وفد القوم وأوفدتهم أنا إيفادا. وكذلك عند قولنا أوفد الرجل على الشيء إذا علا عليه، إيفادا [2]. «قال الأصمعي: وفد فلان يفد وفادة إذا خرج إلى ملك أو أمير.والوفد جمع الوافد. ويقال وفد الأمير إلى الأمير الذي فوقه وأوفد فلان إيفاداً إذا اشرف» [3]. وكذلك يظهر مفهوم آخر مثل وفد شخص ما على الأمير أي جاءه رسولاً وهو من باب وعد فهو وافد وعند الجمع تصبح وفد وعندما نجمع كلمة الوفد تصبح أوفادا ووفودا والاسم الوفادة وأوْفَدَه إلى الأمير بمعنى أرسله [4].

---

(١) سورة مريم: ٨٥ وقد ذكر في مفهوم كلمة وفد " الركبان المكرمون ". ينظر / الهروي، أبو منصور محمد بن احمد بن الأزهر الأزهري: تهذيب اللغة، تح: احمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م): ١٠ / ٣٥٧.

(٢) ابن دريد، المصدر السابق: ٢ / ٦٧٤.

(٣) الهروي، المصدر السابق: ١٠ / ٣٥٧.

(٤) الرازي، المصدر السابق، ص ٧٢٩ – ٧٣٠.

وكذلك يقال «وفد فلان على الأمير أي ورد رسولاً فهو وافد والجمع وفد»[١]. ويقال أيضا«هم على أوفاد أي على سفر... ووفد إليه وعليه يفد وفدا بفتح السكون (ووفودا) بالضم (ووفادة) بالكسر (وإفادة) على البدل (قدم) فهو وافد قال سيبويه وسمعناهم ينشدون بيت ابن عقيل»[٢]:

إلا الإفادة فاستولت ركائبناعند الجبابير بالبأساء والنعم [٣]

إن معنى الوفد في الحديث هم القوم الذين يجتمعون ثم يردون البلاد. ويسمى واحدهم وافداً، والحال ذاته للذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع، وتقول وفد يفد فهو وافد وأوفدته فوفد وأوفد على شيء فهو موفد[٤]. ويشير الفراهيدي إلى أن الوافد الذي يفد عن القوم إلى ملك في فتح وكذلك في قضية أو أمر[٥]. وتعد الوفود من أهم الوسائل الإعلامية التي استخدمها الرسول محمد (ص) لنشر الدعوة

---

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح، تح: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، (بيروت، د. ت): ٥٥٣/٢.

(٢) الزبيدي، المصدر السابق: ٢ / ٥٣٨.

(٣) المصدر نفسه: ٢ / ٥٣٨.

(٤) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: محمود عبد الطباحي، مؤسسة الإسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، (قم، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م): ٢٠٩/٥.

(٥) المصدر السابق: ٨ / ٨٠.

الإسلامية؛ فضلاً عن تهيئة الظروف المناسبة للاتصال والعلاقات الإنسانية العامة[١].

من كل ما تقدم يتضح أن المهمات التي يقوم بها السفير هي ذاتها التي تناط بالرسول والحال ينطبق على الوافد والوفد. ومن الجدير بالذكر القول أن بعض المصادر، والمراجع استخدمت كلمة رسل مثل ابن خلدون[٢] وأخرى استخدمت كلمة وفد ووفادة مثل المقري في نفحه[٣]. ومصادر أخرى استخدمت كلمتي رسل، ووفد مثل ابن عذارى[٤] ولم يقف الأمر عند هذا؛ بل تعداه إلى استخدام كلمة سفارة أو سفير في مراجع كثيرة مثل عنان[٥] والحجي[٦]، إلا إن المعنى، والمفهوم المراد إيصاله للمتلقي لم يتغير بتغير الكلمة؛ بل كان واحدا في المواضع الثلاثة، أو الأربعة بالرغم من اختلاف التسمية.

(١) الأسطل، علي رضوان احمد: الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي، مكتبة المنار، ط ١، (الزرقاء، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م)، ص ٢٧٨.

(٢) عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م): ٤ / ١٧١ وغيرها.

(٣) المقري، المصدر السابق: ١ / ٣٤١ وغيرها.

(٤) ابن عذارى، أبو عبد الله محمد المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح مر / ج. س كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط ٢، (بيروت، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م): ٢ / ٢٣٤ مثلا.

(٥) دولة الإسلام، ص ٤٥٦ وغيرها.

(٦) أندلسيات: ١ / ٦٥ وغيرها.

أهداف السفارات

لعل أول هدف من أهداف السفارات هو فض النزاعات. وهذا يتضح في قصة ذلك الرجل المتوحش الذي يكسو جلده الشعر إذ خرج من نزاع شديد مع جيرانه فوضع عصاه جانباً ورجع إلى معسكر من تنازع معهم ليعرض عليهم الهدنة، ووقف النزاع، فما كان من خصومه إلا أن أعطوه الأمان، ولم يذبحوه[١]. وقد عُد هذا الرجل المتوحش أول دبلوماسي في العالم[٢]. من خلال ما تقدم نعرف أن أول هدف من أهداف السفارات هو فض النزاعات وعقد الصلح بين طرفين كانا على غير وفاق. كذلك إرسال التهديد بشن الحرب، وتقديم الإنذار[٣] ويظهر ذلك في قصيدة سومرية تتحدث عن بطل سومري يدعى اينمركار كان يحكم مدينة أرك « الوركاء» (دولة – مدينة /City – State) وفي الوقت نفسه كانت هناك دويلة في جنوب بلاد مابين النهرين إلى الشرق من مدينة أرك بمسافة بعيدة تدعى أرتا وهي (دولة – مدينة) أيضاً وبينها وبين أرك سبع سلاسل من

---

(١) الفتلاوي، المرجع السابق، ص ١٦ الهامش.

(٢) المرجع نفسه، ص. ن.

(٣) إن الإمام علي (رضي الله عنه) أرسل جرير بن عبد الله البجلي رسولا منه إلى معاوية يدعوه إلى الدخول في الطاعة، والبيعة له أو الإيذان بالحرب. وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري: الإمامة والسياسة، علق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م): ١ / ٧٩ – ٨٠؛ الدينوري، أبي حنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال، تق: صام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية، ط١،(بيروت، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) ص ٢٢٦.

الجبال. وتقع فوق قمة جبل عال وكانت من المدن الغنية بالمعادن، والأحجار. وهذا ما تفتقر إليه مدينة أرك، وقد قام سيد أرك اينمركار بإرسال رسوله إلى سيد أرتا منذراً ومهدداً إياه بتخريب مدينته إذا لم يقدم هو وأهل مدينة أرتا الذهب، والفضة ليبنوا، ويزينوا معبد الإله « أنكي »، وبعد العديد من المراسلات بين الطرفين استجابت أرتا إلى مطالب اينمركار سيد أرك [(١)].

أما في عصر ما قبل الإسلام فقد عرف العرب السفارة ونظامها وأسس عملها بينهم وبين الآخرين من القبائل، أو الدول المجاورة. ولهذا يظهر هدف آخر من أهداف السفارات هو إظهار حقيقة الطرف المرسل وتصحيح فهم وانطباع المرسل إليه وكبح جماحه من القيام بمحاولة الاستيلاء على أرض الآخر، والخضوع له. وقد تجلى ذلك بوضوح في الوفد الذي أرسله النعمان بن المنذر ملك الحيرة إلى كسرى ابرويز ملك الفرس [(٢)]. كذلك ظهرت سفارات هدفها مزدوج الأول للتهنئة والثاني

---

(١) كريمر، صمويل: من ألواح سومر، تر: طه باقر، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (د. م، د. ت)، ص ٦٣ – ٦٥.

(٢) الفتلاوي، المرجع السابق، ص ٣٧ – ٣٨؛ العسلي، خالد صالح: العراق في مواجهة التحديات، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م): ١ / ١٣٢. كذلك ظهرت لنا سفارة في العصر الأموي عرفت بسفارة عامر بن شراحيل الشعبي نسبة إلى شخص السفير. وقد كان هدفها التعرف على رأي حكومة وامبراطور الروم ومدى التأثير الذي حصل جراء تبديل العملة الرومانية إلى عملة عربية في زمن عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ / ٦٨٥ – ٧٠٥ م). وللمزيد من التفاصيل ينظر: الآلوسي، جمال الدين: الدبلوماسية عند المسلمين العرب، منشورات مجلة الرسالة الإسلامية ٧، (بغداد، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م)، ص ١٨.

لأهداف تجارية فعندما استأثر أبرهة بن الصباح بحكم اليمن، وقام بإصلاح سد مأرب. وجد بعض الملوك، والأمراء، ومن حالفهم من القبائل العربية مناسبة لتقديم التهنئة إذ وصلت إلى أبرهة وفود تهنئة[١] من نجاشي الحبشة وملك الروم ومن الحارث بن جبلة أمير غسان ومن الفرس وحليفهم المنذر اللخمي. وكذلك من شيخ القبائل في فلسطين أبو كرب بن جبله، إلا إن هدف هذا المسعى لم يكن مجرد التهنئة؛ وإنما تمثل في سعي الروم إلى التوسع في تجارتهم في البحر الأحمر. وإبعاد الجزيرة العربية من الهيمنة الفارسية إذ سعى هؤلاء الفرس أيضاً إلى القضاء على الولاء للروم، والحيلولة دون وصول السفن الرومية ودخولها إلى المحيط الهندي[٢].

(١) ومن وفود التهنئة ما وفد على الإمام علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) من اليمن للمبايعة والتهنئة بالخلافة وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن أعثم، أبو محمد احمد: الفتوح، دار الندوة الجديدة، ط١، مر: محمد عبد المعيد خان، (بيروت، د. ت): ٢ / ٢٥٢.

(٢) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات الشريف الرضي، (بغداد، د. ت)، ٣ / ٤٨٩ – ٤٩٠. وينظر: العلاق، علاء أبو الحسن إسماعيل: مجلة الأستاذ، جامعة بغداد- كلية التربية / ابن رشد،ع /٥٨، لسنة ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م، ص ٣٨٥ – ٣٨٦. كانت هناك وفود للتعزية أيضا كالتي وفدت على الخليفة المهدي العباسي لتعزيته بوفاة والده أبي جعفر المنصور، وللمزيد من التفاصيل ينظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي: تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ط ١، (بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م): ٢ / ٣٣٦.

مما تقدم يظهر أنَ بعض السفارات لها أكثر من هدف وبذلك يمكن تسميتها بالسفارات ذات الأهداف المتعددة المعلنة أو غير المعلنة، هدف التهنئة، والهدف التجاري؛ وربما هدف تجسسي وغيرها.

أما في عصر الرسول محمد (ص) فقد كان للدبلوماسية أثر واضح في سياسته الخارجية حيث اهتم بالعلاقات الخارجية مع القبائل العربية والدول المجاورة. وقد دخلت دبلوماسية الرسول محمد (ص) في طريقه السياسي على أساس أن الدبلوماسية وليدة السياسة وخاضعة لها. ومن بين الممارسات التي مارسها الرسول محمد (ص) في تنظيم العلاقات مع الدول الأخرى إقدامه على إقامة علاقة متينة بالحبشة وفتح الباب على مصراعيه لأنصاره في اللجوء السياسي في الحبشة. وكل هذا حصل والرسول محمد (ص) لم يزل في بداية دعوته في مكة. وإن هذه الدبلوماسية التي قام بها الرسول محمد (ص) إنْ دلت على شيء فإنما تدل على نضج سياسي، ودقة في الأهداف. إن فعل الرسول محمد (ص) هذا تنبه من خلاله لما يعرف بالوقت الحاضر إلى الحصول على الاعتراف بالمعارضة في الخارج وهو اعتراف الحبشة بكيان المسلمين المضطهدين من قريش الذين هاجروا إليها نتيجة للاضطهاد والتعذيب كذلك أثمرت دبلوماسيته(ص) في العلاقات مع قبائل الجزيرة العربية [1].

---

(١) مروان، عبد الوهاب: النظرية السياسية بين اليونان والإسلام (مقاربة اتفاق وافتراق)، قدمس للنشر والتوزيع، ط ١ (دمشق، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م)، ص ٣٧٦.

أما «السفارات الأولى في صدر الإسلام»[١] التي أرسلها نبي الله محمد (ص) إلى الملوك والأمراء المحيطين بشبه الجزيرة العربية فكان هدفها دعوة هؤلاء الملوك والأمراء إلى الإيمان برسالته[٢].

وما دمنا نخوض في سيرة النبي الكريمة ظهر لنا هدف آخر من أهداف السفارات ألا وهو الزواج. وبذلك يظهر ما يعرف بسفارات الزواج، إذ قام النبي محمد (ص) بإرسال عمرو بن أمية الضمري[٣] وكيلا

---

(١) في عام ٧ هـ / ٦٢٨ م أرسل النبي سفراءه أو رسله إلى الملوك والأمراء فكان الملوك والرسل كما يأتي« عبد الله بن حذافة إلى كسرى ابرويز بن هرمز ملك الفرس / دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم / وحاطب بن أبي بلتعة إلى صاحب مصر المقوقس جريج بن مني / وعمرو بن أمية الضمري إلى نجاشي الحبشة / و شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني / وسليط بن عمرو إلى هوذة بن علي ملك اليمامة / والعلاء بن الحضرمي إلى ملك البحرين المنذر بن ساوي. وللمزيد من التفاصيل ينظر: أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين: تاريخ أبو الفداء، علق: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م): ١ / ٢٠٢- ٢٠٣ و مع بعض الاختلاف ينظر: عنان، مواقف حاسمة، ص ٢٠٣.

(٢) أبو الفداء، المصدر السابق، ص. ن.

(٣) هو عمرو بن أمية بن خويلد الضمري كان من أنجاد العرب ورجالها نجدة وجراءة وكان الرسول يبعثه في أموره وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير: عز الدين ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجوزي: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض وعلاء احمد، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت): ٤ / ١٨١ – ١٨٢؛ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري: الطبقات الكبرى، تق: إحسان عباس، دار صادر،(بيروت، د. ت): ٤ / ٢٤٩.

في زواجه إلى نجاشي الحبشة ليخطب « أم حبيبة »[١] للنبي ويزوَّج منها. ويكون عمرو وكيلا عن النبي في هذا الزواج وعندما بشرت أم حبيبة بهذا الزواج سُرت به. وقد أصدقها النجاشي أربعمائة دينار[٢].

(١) واسمها رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس تزوجت من عبيد الله بن جحش فولدت له حبيبة فكنيت بها، وتزوجها النبي محمد (ص) بعد وفاة زوجها. وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن سعد، المصدر السابق: ٤/٩٦-١٠٠.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة، ص. ن. وينظر: الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي أبي العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د. ت): ١ / ٥٤.

لقد كانت العلاقات الدبلوماسية مزدهرة في العصر الأموي [(١)]. وكانت السفارات تترى على الدولة العربية الإسلامية ذهاباً و إياباً، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد انطلقت سفارة إلى الصين سنة ٩٨ هـ / ٧١٦ م في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك [(٢)] (٩٦ – ٩٩ هـ / ٧١٤ –

(١) ما دمنا بصدد العصر الأموي لا بد من الإشارة إلى الأسباب التي جعلت الدبلوماسية تتطور وتزدهر في هذا العصر، أن أولى تلك الأسباب تتمثل في اتساع حدود الدولة الأموية نتيجة للفتوحات الكثيرة التي حدثت. حيث امتدت تلك الفتوحات من الهند إلى الأندلس؛ فضلا عن مجاورتها للعديد من الدول وهذا بطبيعة الحال يتطلب إقامة علاقات دبلوماسية مع تلك الدول وإجراء المفاوضات وحل المشاكل الناشئة والعالقة وتنظيم الشؤون السياسية والاقتصادية، لقد كان للتجارة أثر واضح في تطور الدبلوماسية في العصر الأموي حيث ساعد تطور التجارة على الاختلاط بشعوب وأمم أخرى وهذا الأمر بدوره يجعل المنازعات مع تلك الشعوب والأمم تحل بالطرق الدبلوماسية. كما أن اجتذاب الشخصيات المؤثرة وذات المعرفة بالمفاهيم الدبلوماسية من لدن قادة الدولة الأموية كان له الأثر الكبير في ذلك التطور. كما أن الأمويين ركزوا كثيرا في حل مشاكلهم الداخلية والخارجية على الطرق الدبلوماسية التي آتت أكلها في كثير من الأحيان. فنراهم يستخدمون الأساليب الدبلوماسية عندما يقتضي الأمر ذلك ويلجأون إلى القوة واستخدام السلاح عندما لا تحقق الدبلوماسية ما يصبون إليه، وكثيراً ما نراهم يستخدمون اللين، والشدة. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الفتلاوي، المرجع السابق، ص ٩٤ – ٩٥. وهذا الأمر يذكرنا بقول معاوية الأول: «لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبدا. قيل له: وكيف ذلك ؟ قال: كنت إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها» ينظر: ابن عبد ربه، احمد بن محمد الأندلسي:العقد الفريد، تح: محمد سعيد العريان، دار الفكر، ط ٢، (القاهرة، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م): ٥ / ١٠٦.

(٢) السامر، فيصل:الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ٢، (بغداد، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م)، ص ١١٨ نقلاً عن Ancient Chinas Relations With The Arabes P. ١٦ وينظر: زينب، علي عبد: السفارات العربية الإسلامية

٧١٧ م)، وكان هدف تلك السفارة تقديم هدايا إلى إمبراطور الصين كالعباءات المطرزة بخيوط الذهب وكمية من العقيق ورشاشات العطور وغيرها [1].

إن هذا الأمر يثير الاستغراب إذ ليس من المعقول أن يكون تقديم الهدايا هدفاً بحد ذاته، ولابد أنْ يكون هناك هدف للسفارة غير ما ذكر، ومن المرجح أنْ يكون هذا الهدف تقوية العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين، وإدامتها، أما فيما يتعلق بالهدايا فإنها أصبحت مسألة طبيعية ترافق السفير في الحل والترحال يقدمها الملوك أو الخلفاء إلى من يبعثون إليهم تلك السفارات في إشارة واضحة إلى الود، والتقدير، والاحترام، وتوثيق عرى الصداقة، والمودة.

فضلاً عن ذلك فهناك هدف آخر متمثل في أخذ الجزية من البلاد غير المسلمة، ففي العصر العباسي على سبيل المثال كانت هناك سفارات تحمل الجزية البيزنطية إلى بغداد. إذ فرضت تلك الجزية في مرات عدة

إلى ملوك الشرق من القرن الأول الهجري وحتى القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية – كلية التربية – قسم التاريخ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م، ص ١٣٠.

(١) السامر، المرجع السابق، ص. ن. إن أقرب مثال عن السفارات التي كان هدفها الصداقة ما وفد من ملك فرنسا لويس الرابع في طلب الصداقة والمودة من قرطبة. وللمزيد من التفاصيل ينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٤٥٦.

على القسطنطينية. وبذلك تحتم وجود سفارات تحمل تلك الجزية إلى مركز الخلافة في بغداد[1].

وما دمنا بصدد البيزنطيين فقد أقدم هؤلاء على نقض الصلح مع الدولة العربية الإسلامية أكثر من مرة، وهذا تطلب وجود سفارات تبلغ الطرف الآخر بنقض الصلح أو إنهاء الاتفاق المعقود بين الطرفين كما حصل عندما نقض صاحب الروم(نقفور) الاتفاق المعقود بين من سبقته في الحكم صاحبة الروم (ريني) والدولة العباسية إذ أرسل كتاباً يبلغ به هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣ هـ / ٧٨٦ – ٨٠٨ م) بنقضه للاتفاق المعقود مع (ريني)[2] أو إرسال سفارات تهدف إلى دعوة الطرف الآخر إلى الطاعة، وهذا ما حصل في الدولة العربية الإسلامية أيام الخليفة المهدي العباسي (١٥٨– ١٦٩ هـ / ٧٧٤ – ٧٨٥ م) بعد الانتصارات التي حققها و إثر ذلك أرسل رسلا إلى ملوك كابل والسند وطخارستان و طبرستان وفرغانة وسجستان وأشروسنة والترك والصين والهند والتبت[3].

---

(١) صفوت، احمد زكي: جمهرة رسائل العرب، (القاهرة، ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م): ٣ / ٢٥٢ وينظر: رشاد، عبد المنعم و موفق سالم الجوادي: مجلة المورد، العلاقات الدبلوماسية العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول، وزارة الثقافة – دار الشؤون الثقافية العامة، مج: ٣٢، ع / الثاني، بغداد – ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، ص ٣٤.

(٢) الطبري، المصدر السابق: ٨ / ٣٠٧ وينظر: رشاد، مجلة المورد، ص ٣٤.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٤١ وينظر: حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، دار الجيل، ط ١٥، (بيروت، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م): ٢ / ١٩٩.

يبدو مما تقدم إن هدفاً جديداً ظهر مع الأهداف الآنفة للسفارات ألا وهو الإبلاغ عن نقض الصلح أو سفارات و رسل فرض الطاعة.

أما عقد التحالف فهو من الأهداف التي سعت إلى تحقيقها بعض السفارات فقد أرسل شارلمان سفارة إلى هارون الرشيد وكان الهدف المعلن من تلك السفارة عقد تحالف بين الدولة الإفرنجية بزعامة شارلمان، والدولة العباسية بزعامة هارون الرشيد، وإعطاء مفاتيح بيت المقدس إلى شارلمان وقد استقبلت تلك السفارة ببالغ الاحترام، وقام هارون الرشيد بإعداد سفارة إسلامية مقابلة تنطلق مع سفارة شارلمان لكي تحقق سياسة العباسيين ضد إمارة الأمويين في الأندلس[١]. إلا أن اليوسف أشار إلى هذه السفارة بصيغة أخرى حين ذكر إن شارلمان بعث وفداً إلى هارون الرشيد سنة ١٨١هـ/ ٧٩٧م وطلب من الوفد المرور بالقدس قبل التوجه إلى بغداد للتعرف على أحوال المسيحيين وزوار بيت المقدس هناك،وأن يتوسط لدى الخليفة العباسي هارون الرشيد لتسهيل مهمة زوار القدس فاستقبلهم الخليفة وأجاب طلبهم[٢].

يبدو مما تقدم؛وبالرغم من الاختلاف الجزئي في هدف السفارة والوفد إلا أنَ السفارة تحققت. وكان هدفها عقد تحالف وكذلك الوفد

---

(١) العدوي، إبراهيم احمد: السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى، دار المعارف، اقرأ ١٧٩، (القاهرة، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م)، ص ٩٤.

(٢) اليوسف، عبد القادر احمد: العصور الوسطى الأوربية ٤٧٦ – ١٥٠٠، دراسات تاريخية، (بيروت،١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م)، ص ١٠٣.

الذي كان هدفه دينياً. ولقد احتل موضوع الأسرى مكاناً واضحاً إذ جرت لأجله السفارات فكان هدفها تبادل الأسرى بعد إقرار السلام، وإيقاف الحروب ومن أمثلة هذا الأمر سفارة نصر بن الأزهر التي جرت بين الدولة العباسية والروم تلبية لرغبة ملك الروم (ميخائيل بن تيوفيل). ففي عام ٢٤٦هـ/٨٦١ م حدثت تلك السفارة في خلافة المتوكل العباسي. وكان هدفها إقرار السلام بين الطرفين، ثم إيقاف الحرب، وتبادل الأسرى [١]. لقد أشرنا فيما سبق إلى الهدف التجاري للسفارات وكان ذلك ضمن ما اصطلح عليه– السفارات ذات الأهداف المتعددة – ومن الأمثلة على الهدف المعلن - التجاري - هدفاً منفرداً ورئيسياً ما يأتي: إذ وصلت إلى الأندلس وتحديدا إلى قرطبة سفارات من التجار ورجال الأعمال الأجانب تروم عقد اتفاقيات ومعاهدات تجارية ومن تلك السفارات التجارية ما وصل إلى قرطبة عام ٣٢٨ هـ / ٩٤٢ م من حاكم برشلونة؛ إذ تم توقيع اتفاق بين كاتب الخلافة في قرطبة (حسداي بن إسحاق) و(شنسير بن غيفريد) صاحب برشلونة [٢]. ومن الأهداف الأخرى للسفارات ما يعرف بالأهداف العلمية والثقافية لتلك السفارات [٣]. إذ

(١) الآلوسي، المرجع السابق، ص ٤٠.

(٢) العامري، محمد بشير حسن: مجلة دراسات في التاريخ والآثار، تصدرها جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق، السنة الحادية والعشرون،ع/الحادي عشر،١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م، ص١٧٤ نقلاً عن: ابن حيان القرطبي، المقتبس: ٥ / ٤٧٨.

(٣) الخربوطلي، علي حسني: الإسلام في حوض البحر المتوسط، دار العلم للملايين، ط ١، (بيروت، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠)، ص ١٤٣ وينظر: رشاد، مجلة المورد، ص ٣٤.

وردت على الأندلس العربية المسلمة ثلاث بعثات أوربية الأولى كانت فرنسية برئاسة الأميرة (إليزابيث) ابنة خالة ملك فرنسا لويس السادس، والثانية انجليزية ترأستها الأميرة (دوبان) ابنة صاحب مقاطعة (ويلز) الأمير (جورج)، والثالثة أسبانية وبعضها من مقاطعة (سافو) و(البافر) (وساكسونيا) و(الرين)، وقد أرسلت تلك البعثات في « عام ٢١٣هـ/ ١٢٩٣م»[١]. كانت أهداف تلك البعثات علمية لدراسة العلوم والفنون والصناعات. إن هذا الحدث جاء نتيجة لتزايد شهرة الأندلس

ذات الحضارة المزدهرة في أوربا، وقد ظلت أوربا تعيش في الجهل ولم تُبد استعدادا للعلم، والمعرفة إلا في فترات متأخرة؛ ولكن الحال تغير عندما شعرت بعض العقول الأوربية بحاجتها إلى العلم، والتخلص من الجهل فلم يكن منهم إلا أنْ طرقوا باب العرب المسلمين لأخذ ما يحتاجون إليه من علم ومعرفة لأنهم كانوا أهل العلم في ذلك العصر[٢].

يبدو لنا مما سبق ذكره أن تلك السفارات قد تكون لها أهداف وأغراض أبعد تتمثل في مراقبة الطرف الآخر، ومعرفة كل ما يتعلق به من

---

(١) إن التاريخين الهجري والميلادي لا يتطابقان وقد وردا في كتاب الخربوطلي (العرب في أوربا) بالصيغة أعلاه إلا أن الكاتب لم يورد التاريخين في كتابه الثاني (الإسلام في حوض البحر المتوسط) وهذا ربما يدل على خطأ طباعي قد حصل وقد تجاوزه الكاتب في كتابه الثاني.

(٢) الخربوطلي:العرب في أوربا،المكتبة الثقافية ١٤٣، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م)، ص ١١٦ وينظر: الخربوطلي، الإسلام في حوض البحر المتوسط، ص ١٤٣ – ١٤٤.

مواطن الضعف والقوة في المراكز القيادية من دون أن يشعر بالهدف الخفي والمتمثل بالتجسس وإلى الكثير من الأهداف الأخرى، وقد أكد ذلك العدوي في كتابه «السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى» إذ ذكر بما يعني وجود سفارات إسلامية كان غرضها التجسس على الطرف الآخر والتعرف على استعداداته الحربية ومكامن قوته ونقاط ضعفه [١]. أو كما ذكره الآلوسي حينما أكد أن الملوك والأمراء ومن كان في دفة الحكم عندما يرسلون رسلا أو سفراء لم يكن هدفهم نقل رسالة فحسب ولكن في جعبتهم عشرات الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها عن طريق هؤلاء السفراء كأن يتعرفوا على حالة الطرق وما إذا كانت تصلح لمسير الجيوش ومعرفة الأماكن التي تتواجد فيها الحشائش والعلف والمياه عن الأماكن التي تفتقر ولا يوجد فيها شيء من ذلك [٢].

أضف إلى ما تقدم، إنَ عملية طلب النجدة والمساعدة تتطلب إرسال رسول لهذا الغرض؛ ولاسيما عندما تدلهم الخطوب ويصبح الأمر مرهوناً بتلك النجدة أو المساعدة، وهذا الأمر يمكن ملاحظته عندما طلبت ملكة (طوطة) ملكة(نافار) [٣] وبرفقتها (سانشو ملك ليون) المخلوع المساعدة من خليفة الأندلس عبد الرحمن الناصر(٣٠٠ – ٣٥٠هـ/ ٩١٢

(١) المرجع السابق، ص ١٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥ – ١٦.

(٣) إن الملكة طوطة كانت تحكم نافار باسم ولدها الفتي غرسيه سانشيز. ينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٥٩٣.

– ٩٦١م) الذي استجاب لها وأقر بدوره ولدها ملكا على (نافار) ووعد (سانشو) بالمساعدة لاسترجاع عرشه وذلك في عام ٣٤٧هـ/ ٩٥٨ م [1].

إن الأهداف المذكورة يمكن عدّها من الأهداف الظاهرة أو المعلنة من الدبلوماسية المتبعة وإرسال الوفود والسفراء والرسل لتحقيقها من التي كان الخلفاء أو الملوك يبغونها؛ ولكن ربما تكون هناك أهداف غير ظاهرة أو غير معلنة أبعد مما تهدف إليه السفارة أو الوفد مثل التجسس كما نوهنا عن ذلك من قبل.

يتضح من كل ما سلف أن لأهداف السفارات أثراً كبيراً في تصنيفها، وبناءً على ذلك يمكن نصنفها إلى ثلاثة أنواع من حيث الصلاحية وكما يأتي:

أولا / سفارات من الصنف الأول التي يمنح بموجبها السفير أو الرسول أو الوفد صلاحيات واسعة في التصرف مع الطرف الآخر، مثل سفارات عقد التحالفات، والتفاوض.

ثانيا / سفارات من الصنف الثاني التي يمنح بموجبها السفير أو الرسول أو الوفد صلاحيات محدودة لا يحق له تجاوزها دون الرجوع إلى مرسله، مثل السفارات التي تبلغ بنقض الصلح.

(١) المرجع نفسه، ص ٤٥٩.

ثالثا / سفارات ذات مهمات محدودة، أو خاصة مثل سفارات أخذ الجزية وسفارات التهنئة، أو التعزية. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هناك من يقوم بنقل كتاب أو رسالة ويأتي بجواب فقط لا غير ويسمى (رقاص)(١).

إنَ هذا الرقاص لا يمكن عده سفيراً، وذلك لأن مهمته تتلخص في عملية نقل الرسالة لا غير اعتماداً على أمانته. وهذا مالا ينطبق مع تعريف السفير، أو الرسول والمهمات التي يكلفون بها. كذلك يظهر لنا ما يعرف (بالطويرة) وله عدة مسميات مثل: خصي، أو مملوك إذ يُرسل برسالة خاصة إلى ملك أو سلطان (٢)، وشأنه شأن الرقاص لا ينطبق عليه تعريف السفير.

(١) الفتلاوي، المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٢) دوزي، رينهارت: تكملة المعاجم العربية، تر: محمد سليم النعيمي، مر: جمال الخياط، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م): ٧ / ١٠٩.

الفصل الثاني (أصول الدبلوماسية الأندلسية)

المبحث الأول / مراسم استقبال وتوديع السفراء

المبحث الثاني / حصانة السفراء وصفاتهم

يقول الله عز وجل في محكم كتابه الكريم «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً»[1]. لهذا سنتناول الإجراءات التي كان يقوم بها الرسول محمد (ص) عند استقباله للوفود قبل الحديث على مراسم الاستقبال في الأندلس حتى تكون مراسم الرسول دليلَ عمل وأساساً نعتمده في التعرف على التشابه والاختلاف إنْ وجدا بين ممارسات الرسول والممارسات التي سنتناولها لاحقاً.

إن من كان في قمة الهرم القيادي من سلاطين، وملوك وغيرهم؛ كانوا يظهرون زينة الملك وجماله أما الرسول محمد (ص) فكان يتجمل للقادمين من وفود، وعظماء. إن هذا الأمر ذو هيبة و تأثير في النفوس وسبيل لحصول التعظيم في الصدور. وقيل في هذا الأمر أيضاً أنه منسجم

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

مع العرف الإسلامي وهو أمر متعارف عليه وطبيعي [1]. وكذلك كان الرسول يكرم الذي يرد عليه من سراة قومه، فعندما وفد عليه زيد الخيل [2] قام الرسول ببسط ردائه، وأجلسه عليه وقال في ذلك: «إذا أتاكم كريم قوم، فأكرموه» [3].

إن الأمر لم يقف عند هذا الحد في إجراءات الرسول محمد (ص)؛ بل كان يحسن المقابلة والإقبال على الوفد إذ يتلطف لهم في المخاطبة؛ وذلك تأنيسا لهم، فكان الرسول (ص) رفيقا بالوفد القادم كثير الترحيب بهم، فضلا عن الإذن للذي يريد التحدث لمن كان بمنزلة عالية بين قومه وهو أهل للحديث، ناهيك عن إفاضته بالإحسان على وفد التهنئة حتى يُدخل السرور عليهم ومبالغة في الترحيب بهم وهي كما قيل من سنن الملوك الحسنة [4].

---

(١) ابن الأزرق، أبو عبد الله: بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سامي النشار، منشورات وزارة الثقافة والفنون، (العراق، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م): ٢ / ٨٣ - ٨٤.

(٢) هو زيد بن مهلهل بن منهب بن عبد ارم من طي، أدرك الإسلام ووفد على الرسول محمد (ص) مع وفد طي وسماه زيد الخير. وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية، تق و تع: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، (بيروت، د. ت): ٤ / ١٦٥ - ١٦٦؛ ابن الأزرق، المصدر السابق: ٢ / ٨٣ - ٨٤.

(٣) ابن الأزرق، المصدر نفسه، ص. ن.

(٤) المصدر نفسه: ٢ / ٨٤، ٨٥.

أمّا فيما يتعلق بالأندلس فقد سطع نجم قرطبة أكثر في ظل الإسلام منذ أن جعلها عبد الرحمن الداخل [(١)] حاضرة له ولمن جاء من بعده من أبنائه، وأحفاده، إذ أضحت في عهده مهداً للحياة الرغيدة ومصدراً للحضارة وموطن استقطاب لرجالات الشعر والفلسفة والفنون فضلاً عن السفراء [(٢)].

ثم كان عصر الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر [(٣)] (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ/ ٩١٢ – ٩٦١م) عصراً للازدهار، والرقي في مجالات الحضارة العربية الإسلامية كافة في الأندلس، إذ كانت قرطبة مركزاً للإشعاع الحضاري [(٤)]، وكانت الدول النصرانية إلى القرن الحادي عشر الميلادي

(١) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ويكنى أبا المطرف، ولد في الشام سنة ثلاث عشرة ومائة، وأمه اسمها" راح " هرب لما ظهرت دولة بني العباس ولم يزل مستتراً إلى أن دخل الأندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة. وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تص: عزت العطار الحسيني، (القاهرة، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م): ١ /١١؛ الضبي، المصدر السابق، ص ١٨؛ وللتعرف على نسب عبد الرحمن ينظر: ملحق رقم (٥).

(٢) سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٩٤ – ٢٩٥.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله تولى الأمر وله اثنان وعشرون سنة، وعندما بلغه ضعف الخلافة بالعراق في أيام المقتدر، وظهور الشيعة بالقيروان تسمى عبد الرحمن بأمير المؤمنين، وتلقب بالناصر لدين الله. وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ر: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، ط ٣، (بيروت، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م)، ص ١٠٠؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٢١؛ ملحق رقم (٦).

(٤) سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٩٢.

تابعة وأشبه ما تكون بالمحميات للدولة العربية الإسلامية في الأندلس، وكانت العاصمة قرطبة كأنها العاصمة الكبرى لأسبانيا إذ يفد إليها السفراء والوفود يقدمون فروض الطاعة، والولاء لمن في دفة الحكم فيها ويستظلون به. وكانت الوفود تصل إلى بلاط الخليفة الناصر والخليفة الحكم المستنصر فتنبهر مما ترى من عظمة الموقف[(1)].

إن الدبلوماسية تزدهر وتتطور بازدهار وتطور الحضارة وبما أن الحضارة الأندلسية وصلت إلى قمة ازدهارها فان هذا بدوره ينعكس على ازدهار المجال الدبلوماسي إذ بلغ القمة في عصر عبد الرحمن الناصر، وابنه الحكم المستنصر[(2)] (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ / ٩٦١ – ٩٧٦م) وراحت قرطبة تعج بالسفراء من كل حدب وصوب من الشرق، والغرب[(3)]، إذ وصلت المراسم الخاصة بالمقابلات الحد العالي الذي تجاوزت فيه كل البلاد في ذلك الزمان، ومن الحري ذكره هنا الحقوق والحصانات التي

---

(١) عبد البديع، لطفي: الإسلام في أسبانيا، المكتبة التاريخية بإشراف الدكتور احمد عزت عبد الكريم، مكتبة النهضة المصرية، ط١، (القاهرة، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م) ص ٨٩.

(٢) هو الحكم بن عبد الرحمن الناصر والملقب بالمستنصر ولي سنة خمسين وثلاث مائة وكان عمره سبعا وأربعين سنة ويكنى أبا العاص، أمه تسمى مرجان، كان محبا للعلم مكرما لأهله. وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق: ١ / ١٥؛ الحميدي، المصدر السابق، ص ١٩؛ ملحق رقم (٦).

(٣) الحجي، أندلسيات: ١ / ٤٥.

كانت تتمتع بها الوفود القادمة إلى الأندلس بل إن السفراء كانوا يكرمون وتقدم لهم الأعطيات والهدايا تكريماً لهم ولمرسليهم [١].

مراسم استقبال وتوديع السفراء

لاشك في إن الحديث عن مراسم استقبال السفراء وتوديعهم يحتم علينا تسليط الضوء على العصر الذي وصلت فيه الأندلس إلى قمة التحضر والتمدن الذي شمل مرافق الحياة كلها، ويضمنها قواعد أو أصول الدبلوماسية، ومنها مراسم الاستقبال التي كانت تمارس من أجل السفراء، ولعل هذا الأمر يمكن ملاحظته بوضوح في عصر الخلافة الأموية في الأندلس (٣١٦ – ٤٢٢ هـ / ٩٢٨ – ١٠٣١ م)، ولهذا سنقوم بتتبع دخول إحدى السفارات إلى الأندلس حتى نستطيع التعرف على مراسم الاستقبال المتبعة في ذلك العصر.

لقد وفدت على قرطبة في سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م رسل إمبراطور الروم قسطنطين بن ليون صاحب القسطنطينية وهديته، واحتفل الخليفة عبد الرحمن الناصر لقدومهم في يوم مشهود [٢]. وقد تحدث النباهي عن ذلك بقوله: «إن الناصر لدين الله، لما احتفل في الجلوس لدخول رسول ملك الروم الأعظم، صاحب القسطنطينية عليه، بقصر قرطبة، الاحتفال الذي

---

(١) الحجي، عبد الرحمن علي: الحضارة الإسلامية في الأندلس، دار الرشاد، ط١، (بيروت، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ص٦٦.

(٢) المقري، المصدر السابق: ١ / ٣٤١.

شهد ذكره في الناس، أحب أن يقيم الخطباء والشعراء بين يديه بذكر جلالة مقعده، ووصف ما تهيأ له من توطيد الخلافة في دولته. وتقدم إلى الأمير الحكم ابنه وولي عهده بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء، ويقدمه أمام نشيد الشعراء. فأمر الحكم صنيعته الفقيه محمد بن عبد البر الكسنياني بالتأهب لذلك، وإعداد خطبة بليغة، يقوم بها بين يدي الخليفة. وكان يدعي من القدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسعه. وحضر المجلس السلطاني. فلما قام يحاول الحديث بما رآه، بهره هول المقام وأبهة الخلافة؛ فلم يهتد إلى لفظة، بل غشي عليه، وسقط إلى الأرض. فقيل لأبي علي البغدادي إسماعيل بن القاسم (١)، صنيعة الخليفة وأمير الكلام:« قم! فارقع هذا الوهي!».

فقام؛ فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم ! – ثم انقطع به القول؛ فوقف ساكتاً، مفكراً في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه. فلما رأى ذلك منذر بن سعيد (وكان ممن

---

(١) هو أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالي اللغوي، جده سلمان مولى عبد الملك بن مروان الأموي، ولد بمناز جرد من ديار بكر فنشأ بها ورحل منها إلى العراق لطلب العلم، دخل بغداد سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م وأقام بها خمساً وعشرين سنة. ثم قصد المغرب و وصل الأندلس سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص ١٤٥ – ١٤٧؛ الضبي، المصدر السابق، ١٩٧ – ١٩٩؛ الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم الأدباء، ر: وزارة المعارف العمومية، مكتبة القراءة والثقافة الأدبية، (القاهرة، د. ت): ٧ / ٢٥ – ٣٣؛ ابن خلكان، المصدر السابق: ١ / ٢٢٦ – ٢٢٨.

حضر في زمرة الفقهاء)، قام من ذاته؛ فوصل افتتاح أبي علي لأول خطبته بكلام عجيب، وفصل مصيب، يسحه سحاً، كأنما يحفظه قبل ذلك بمدة، وبدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو علي البغدادي»[١]. ويذكر ابن خلدون ما نصه «واحتفل الناصر للقائهم في يوم مشهود، وتنكب فيه العساكر بالسلاح في أكمل هيئة وزي وزين القصر الخلافي بأنواع الزينة وأصناف الستور، وجمل السرير الخلافي بمقاعد الأبناء والأخوة والأعمام والقرابة، ورتب الوزراء والخدمة في مواقفهم، ودخل الرسل فهالهم ما رأوا وقربوا حتى أدّوا رسالتهم. وأمر يومئذ الأعلام أن يخطبوا في ذلك المحفل، ويعظموا أمر الإسلام والخلافة، ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه وإعزازه، وذله عدوّه فاستعدوا لذلك. ثم بهرهم هول المجلس فرجعوا وشرعوا في الغزل فارتج عليهم، وكان فيهم أبو علي القالي وافد العراق، وكان في جملة الحكم ولي العهد، وندبه لذلك استئثاراً لفخره، فلما وجموا كلهم قام منذر بن سعيد البلوطي [٢] من غير استعداد ولا روية،

(١) النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسين: تاريخ قضاة الأندلس– كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا – تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط٥، (بيروت، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م) ص ٦٦.

(٢) هو منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي الكزني (نسبة إلى فخذ من البربر يسمى كزنة)، ولي قضاء الجماعة والصلاة سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م في حياة الحكم المستنصر وكان عالماً فقيهاً وأديباً بليغاً وخطيباً على المنابر. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي: قضاة قرطبة و علماء أفريقية، تصحيح: عزت العطار الحسيني، (د. م، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م)، ص ١٧٥ – ١٧٦ و الحميدي، المصدر

ولا تقدم له أحد في ذلك بشيء فخطب[1] واستخفر وجلى في ذلك القصد، وأنشد آخره شعراً طويلاً ارتجله في ذلك الغرض ففاز بفخر ذلك المجلس، وعجب الناس من شأنه أكثر من كل ما وقع. وأعجب الناصر به وولاه القضاء بعدها، وأصبح من رجالات العالم، وأخباره مشهورة.... ثم انصرف هؤلاء الرسل...»[2].

أما المقري فروى طريقة الاستقبال فيما نصه:

«وتأهب الناصر لورودهم وأمر أن يتلقوا أعظم تلقي وأفخمه، وأحسن قبول وأكرمه، وأخرج إلى لقائهم ببجاية[3] يحيى بن محمد بن

السابق، ص ٣١٥ – ٣١٦؛ ابن الفرضي، المصدر السابق: ٢ / ١٤٢؛ المقري، المصدر السابق: ٢ / ٢٢٣.

(١) يبدأ خطبته ويقول: أما بعد حمد الله والثناء عليه والتعداد لآلائه والشكر لنعمائه، والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه، فإن لكل حادثة مقاما، ولكل مقام مقال، وليس بعد الحق إلا الضلال، وإني قد قمت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم، فأصغوا إلي معشر الملأ بأسماعكم، وأتقنوا عني بأفئدتكم. إن من الحق أن يقال للمحق صدقت، وللمبطل كذبت. وإن الجليل تعالى في سمائه، وتقدس بصفاته وأسمائه، أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه، أن يذكر قومه بأيام الله عز وجل عندهم.....ولتكملة الخطبة ينظر: حمادة، محمد ماهر:الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي افريقية ٦٤ – ٨٩٧ هـ / ٦٨٣ – ١٤٩٢ م، منشورات مؤسسة الرسالة، (دمشق، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)، ص١٨١ – ١٨٤.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق: ٤ / ١٧١.

(٣) مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب، أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري في حدود سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٤ م. ولكن هذا التاريخ يرد بعد تاريخ حدوث السفارة فضلاً عن موقع هذه المدينة الذي هو خارج الأندلس. وهذا الأمر يجعلنا نرجح اسم مدينة أخرى ونعده هو الاسم المعني لتلك المدينة وهي مدينة ‹ بجانة › وهي مدينة بالأندلس من

الليث وغيره لخدمة أسباب الطريق، فلما صاروا بأقرب المحلات من قرطبة خرج إلى لقائهم القواد في العدد والعدة والتعبية، فتلقوهم قائدا بعد قائد، وكمل اختصاصهم بعد ذلك، بأن أخرج إليهم الفتيين الكبيرين الخصيين ياسراً وتمّاماً إبلاغا في الاحتفال بهم، فلقياهم بعد القواد فاستبان لهم بخروج الفتيين إليهم بسط الناصر وإكرامه، لأن الفتيان حينئذ عظماء الدولة لأنهم أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمه وبيدهم القصر السلطاني، وأنزلوا بمنية ولي العهد الحكم المنسوبة إلى نصير بعدوة قرطبة في الربض، ومنعوا من لقاء الخاصة والعامة جملة ومن ملابسة الناس طراً، ورُتب لحجابتهم رجال تخيروا من الموالي ووجوه الحشم فصيروا على باب قصر هذه المنية ستة عشر رجلاً لأربع دول، لكل دولة أربع منهم، ورحل الناصر لدين الله من قصر الزهراء إلى قصر قرطبة لدخول وفود الروم عليه، فقعد لهم يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من السنة المذكورة في بهو المجلس الزاهر قعوداً حسناً نبيلاً، وقعد عن يمينه ولي العهد من بنيه الحكم...»[1].

أعمال كورة البيرة، خربت وقد انتقل أهلها إلى المرية، بينها وبين المرية فرسخان وبينها وبين غرناطة مائة ميل أي ٢٥٩ كم مربع، ويبدو أن سبب هذا الالتباس يعود إلى التشابه في اسم المدينتين. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الحموي، معجم البلدان: ٣ / ٣٣٩؛ مصطفى، شاكر: المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ذات السلاسل، ط ١، (الكويت، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م): ١ / ١٨٨ – ١٨٩.

(١) المقري، المصدر السابق: ١ / ٣٤٣.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه بالرغم من تطابق الروايات عند المؤرخين عن تلك السفارة؛ إلا أن هناك اختلافاً في تاريخ وصولها فعلى سبيل المثال أن ابن خلدون يقول: «ووفدت عليه سنة ست وثلاثين رسل صاحب القسطنطينية وهديته...»[١]، أما المقري فيشير إلى تاريخ غير هذا هو سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة [٢]، ومهما يكن من أمر فإن السفارة واقعة ومراسمها واضحة كما مر بنا من قبل.

لقد بدأت مراسم الاستقبال عندما أرسل الخليفة الناصر من يلقى السفراء القادمين عندما يصلون الشاطئ الأندلسي في (بجانة)؛ حتى يقوموا على راحتهم وإرشادهم إلى الطريق الموصل إلى قرطبة، إذ أنتدب لهذه المهمة أحد القادة الأندلسيين وهو يحيى بن محمد بن الليث، وعندما وصل الركب بالقرب من عاصمة الخلافة قرطبة قام باستقبالهم قادة الأندلس بكامل معداتهم الحربية من عدة وعتاد القائد بعد القائد حتى وصل السفراء إلى أبرز فتيين مقربين إلى الناصر واللذين بيديهما مفاتيح القصر السلطاني وهما ياسر وتمام، اللذين صحبا السفراء إلى دار الضيافة بقصر أعد لهذا الغرض في قرطبة، وقد منع الخاصة والعامة من الاتصال بهؤلاء السفراء ووضع في خدمتهم عدد من الموالي وذلك للسهر على راحتهم وقد بقي السفراء في ضيافة الخليفة منتظرين مقابلة الخليفة إذ لم

(١) ابن خلدون، المصدر السابق: ٤ / ١٧١.

(٢) المقري، المصدر السابق: ١ / ٣٤٣.

تتم لهم المقابلة إلا بعد أن مضى على وجودهم في قرطبة ما يقرب الشهر عندئذ تمت المقابلة الرسمية لهم [١].

يتضح مما تقدم إن مراسم استقبال السفراء تبدأ عندما يصل السفير، أو سفراء الدول إلى حدود الأندلس ولا تتم مقابلة الخليفة مباشرة؛ بل تطول أو تقصر حتى يأمر الخليفة بالمقابلة. كما تبرز عظمة المراسم التي استقبل بها سفراء القسطنطينية من خلال الاهتمام الواضح بتلك المراسم التي ظهرت في مظاهر الزينة التي زين بها القصر. وكذلك فيمن حضر تلك المراسم من أقارب وحاشية الخليفة فضلاً عن القادة والجند والمسؤولين في الدولة. وهذا دليل واضح على ما وصلت إليه الدبلوماسية الأندلسية في عصر الخلافة الأموية من رقي وازدهار.

وفي وصف آخر لمظاهر الأبهة والعظمة ما ظهر في زيارة سفير مسيحي إذ أمر الخليفة أن تمد الطنافس [٢] على الأرض إلى أن تصل مدخل مدينة الزهراء وإن هذه المسافة تقدر بثلاثة فراسخ وضع على جانبيها صفين من الجنود رافعي سيوفهم التي تمتاز طولاً وعرضاً حتى إن رؤوسها تصل أطواق السقوف، وكان الخليفة أوعز بمسير السفراء القادمين بين صفي الجند وهو ما يشبه سيرهم في ممر مسقوف، ومما لاشك فيه فإن هذا المنظر يثير الرعب في النفوس خاصة لمن كان غريباً

---

(١) العدوي، المرجع السابق، ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) مطنفس هو نوع من نسيج ذي وبر من صناعة أوربا. ينظر: دوزي، تكملة المعاجم: ٧ / ٨٣.

عن الأندلس المسلمة. أما الأرض التي كانوا يمرون عليها فكانت مغطاة بالخز والبز إلى أن يصلوا القصر الذي يستقبلهم فيه الخليفة، وقد أجلس الخليفة عدداً من سراة القوم بمسافات محددة ويجلسون بمواضع مخصصة للملوك ويلبسون ثياب من الحرير والخز الثمين ومن كل هذا اعتقد السفراء إن هؤلاء ملوكٌ وكانوا ينحنون إليهم في كل مرة يبصرون أحد منهم معتقدين إنه الخليفة فكان يقال للسفراء أرفعوا رؤوسكم فما هذا إلا عبد من عبيد الخليفة وفي نهاية الأمر يصل السفراء إلى مكان منثور بالرمل يجلس في وسطه الخليفة بثياب قصيرةٍ خشنة خافضاً رأسه وأمامه مصحف وبجنبه سيف وموقد. وهنا يقال للسفراء: أنظروا هذا هو الخليفة [١].

يتضح من هذا النص والنصوص السابقة التي أوردها المؤرخون أن الاهتمام الكبير، والواضح في مراسيم الاستقبال كان مرده إلى أسباب عدة منها أهمية الوفد القادم وسفرائه وإن الاهتمام بهم يولد انطباعاً حسناً لديهم عن البلاد التي قدموا إليها واحترامها لمن أرسلهم، كذلك إن ذلك الاهتمام هو تعبير واضح عن تطور ورقي الأساليب، والقواعد أو الأصول الدبلوماسية في الأندلس وفي مستوى التحضر والرقي الذي وصلت إليه قرطبة في ذلك الوقت في تعاملها الدبلوماسي الناضج ذي المعنى السياسي مع السفراء والذي وصل إلى مستويات متقدمة؛ فضلاً عن المحاولة في زرع الخوف،والهيبة في داخل نفوس السفراء من خلال

(١) هيلنبراند، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: ١ / ١٩٩ — ٢٠٠.

إظهار رموز القوة لهم، الأمر الذي يجعلهم ينقلون مشاهداتهم هذه إلى بلادهم وبذلك يقومون بكبح جماح كل من تسول له نفسه التفكير بالاعتداء على الأندلس. إن عظمة مراسم الاستقبال، وبروز روعة

الملك وفخامة السلطان تجلت واضحة، وظهر تأثيرها على أهل البلاد أنفسهم فيمن حضروا مجلس الخليفة، فما بالك بالغرباء ؟ لعل أدل شيء على ذلك عجز الخطباء عن إلقاء خطبهم بين يدي الخليفة الناصر بسبب هول المقام وانبهارهم بما يحيط بهم من أبهة وفخامة.

إن مما تجدر الإشارة إليه ونحن بصدد أصول الدبلوماسية التطرق إلى أوراق الاعتماد التي هي: كتاب صادر عن الخليفة شخصياً به تعريف بالسفير والهدف من الرسالة التي يحملها، وفيه طلبٌ من أولي الأمر الوافد عليهم أو المرسل إليهم السفير باعتماده عندهم فيما يقوله وما يفعله وأنه ثقة وأمين، ويكتب تلك الأوراق كاتب خصص لهذا الأمر وباللغة العربية[١].

لقد حرصت الدولة العربية الإسلامية على تزويد سفرائها بتلك الأوراق وكذلك اهتمت بتقديره عند السفراء القادمين عليها. ومثلما اهتمت الدولة العربية الإسلامية بنوعية ورق الاعتماد، كان لهذا الاهتمام

(١) ابن الفراء، أبوعلي الحسين بن محمد: رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تح: صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،(القاهرة، ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م)، ص١٣١. وينظر: العدوي،المرجع السابق، ص ٤٣ – ٤٤.

نظير في الدولة البيزنطية حيث الاعتناء بنوعية ورق الاعتماد، ويتضح ذلك بكتاب اعتماد ملك الروم إلى عبد الرحمن الناصر [١].

لقد كان كتاب الاعتماد المسيحي (النصراني) قد كتب في جلدٍ رقيق صبغ باللون السماوي، ومكتوباً بالخط الإغريقي المذهب، كما وضع على الكتاب طابع من ذهب يزن أربعة مثاقيل، وعلى وجه منه صورة المسيح وعلى الوجه الآخر صورة الإمبراطور قسطنطين وصورة ولده. وقد وضع الكتاب داخل ما يشبه حافظه مصنوعة من الفضة ومنقوش عليها غطاء ذهبي عليه صورة قسطنطين الإمبراطور صنعت من زجاج ملون، وكانت الحافظة وضعت في جعبة ملبسة بالديباج [٢]. وإلى جانب أوراق الاعتماد كانت أوراق الجواز يذكر فيها اسم السفير، أو الرسول ولقبه وصفته والجهة المتوجه إليها؛ فضلاً عن رجاء بتسهيل مهمة تنقل السفير، أو الرسول بحمله على خيول البريد التي كانت أحسن وأسرع وسائل المواصلات في ذلك العصر ومعاملته بإكرام [٣].

إن أوراق السفر هذه تتشابه إلى حد ما مع جواز السفر الدبلوماسي الذي يستعمل في الوقت الحاضر مع بعض الاختلاف من حيث لا يكتب به تسهيل تنقل السفير وحمله بخيل البريد؛ بسبب تطور طرق ووسائل المواصلات في العصر الحاضر. وقد اعتاد الملوك العرب أن يحملوا

(١) العدوي، المرجع نفسه، ص٤٥.
(٢) المرجع نفسه، ص. ن. وينظر: عنان، دولة الإسلام، ص٤٥٣.
(٣) العدوي، المرجع نفسه، ص ٤٦.

الرسول كتاباً للتعريف بشخصه مع ذكر الغرض من رسالته؛ فضلاً عن طلبهم اعتماده بكل ما يفعل وإنه أمين ومن الثقاة (١)، وقد تطرقنا إلى ذلك من قبل وحددنا ذلك الكتاب بأوراق الاعتماد.

لقد اعتاد من كان في دفة الحكم في الأندلس الاحتفاء بالسفراء والوفود وإكرامهم وتقديم الهدايا للسفير ومن كان بمعيته، فهذا الحكم المستنصر يكرم الرسل القادمين إليه من أسبانيا الشمالية ويحتفل لقدومهم فهذه أم لذريق بن بلاكش القومس الأكبر بالقرب من جليقية وفدت على بلاط الحكم المستنصر سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م تهدف إلى عقد السلم لابنها فأخرج لها الحكم من يستقبلها وقد أحتفل بقدومها احتفالاً كبيراً في يوم مشهود وحملت على بغلة توشحت بملحفة من الديباج وسرج ولجام مثقلين بالذهب وعقد لها السلم كما طلبت وأعطيت مالاً تقسمه بين وفدها المرافق لها (٢).

أما مراسم توديع السفراء فنستطيع أن نلمسها بعد نهاية مراسم الاستقبال وما تمخض عنه من نتائج. عندما تنتهي مهمة السفير وينجح في تحقيق هدف السفارة تقدم له الهدايا من الملك أيضاً. ويقوم الخليفة بتوديعه بنفسه كما حصل في توديع الوفد الألماني عندما غادر قرطبة عام (٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م)(٣). إلا أنَ الوضع يختلف عندما يفشل السفير في مهمته

---

(١) ابن الفراء، المصدر السابق، ص ١٣١.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق: ٤ / ١٧٤ – ١٧٥.

(٣) الحجي، اندلسيات: ١ / ٥٣.

نتيجة لسوء تصرفه، ويصبح الخليفة غير راض عن سلوكه، فعلى سبيل المثال عندما استقبل الحكم المستنصر رسل وصية ملك ليون في (٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) قام هؤلاء الرسل بالحديث مع الخليفة بكلام غير لائق. وبألفاظ لا تتناسب والموقف وكونهم رسلاً. وكان يترجم لهم أصبغ بن عبد الله بن نبيل قاضي النصارى في قرطبة، فما كان من الخليفة إلا أنه رفض هذا الكلام وأنّب المترجم، ثم طرده وأنهى المقابلة بعد أن وبخ السفراء، وبعد هذه الحادثة قام باستقبال

السفراء القائد زياد بن أفلح الذي افهم الرسل بأنهم لهم حصانه؛ لأنهم رسل ولولا ذلك لتمت معاقبتهم في الحال[1].

من خلال ما تقدم نصل إلى أن مراسم التوديع لا تقل أهمية عن مراسم الاستقبال إلا إنها تختلف عنها من حيث التزام السفراء بالأعراف الدبلوماسية السائدة من عدمه ففي الأولى يكرم السفير ويودع بمثل ما استقبل به من حفاوة، وتقدير وفي الثانية يرفض تصرفه ويستهجن ولولا الحصانة [2] التي يتمتع بها السفراء لعوقب.

إن تلك المراسم المتمثلة باستقبال السفراء إنْ دلت عن شيء فإنها تدل على التقاليد المتعارف عليها والسائدة في ذلك العصر التي بلغت ذروة تطورها من خلال ذلك النشاط الدبلوماسي وفي نفس الوقت تشير

(١) الحجي، اندلسيات: ٢ / ١٠٠ – ١٠١.

(٢) ستتناول موضوع الحصانة في المبحث القادم.

إلى الرقي الذي وصلت إليه قرطبة. إذ وصلت قرطبة إلى قمة عصورها الزاهية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر[١].

حصانة السفراء وصفاتهم

الحصانة: هي ما يتمتع به السفير الأجنبي من حقوق، وامتيازات في الدولة المرسل إليها، ويعد هذا الموضوع من أهم مقومات الدبلوماسية[٢].

إن الأعراف المتبعة في ذلك العصر تشير إلى أن الرسول، أو السفير يتمتع بالحصانة الدبلوماسية. وإن الدولة العربية الإسلامية أعطت للسفراء القادمين إليها ومن كان بمعيتهم الأمان والحصانة خلال إقامتهم في أراضي الدولة العربية الإسلامية حتى يعودوا إلى أوطانهم ولا يصيبهم أذى إذ تصان أموالهم وأمتعتهم. إن هذا الأمر التزم به العرب المسلمون خلال حكمهم حتى مع خصومهم[٣]. ولم يذكر التاريخ حادثة عاملت بها الدولة العربية الإسلامية الوافدين عليها من سفراء معاملة تخرج عن نطاق قواعد الدبلوماسية من أمان للسفراء وحصانتهم؛ فضلاً عن إعطاء السفراء مميزات دبلوماسية كالإعفاء من الضرائب التي تفرضها الدولة على مواطنيها وكان السفير يعفى من الرسوم الكمركية المفروضة على الأمتعة ومقابل ذلك كانت الدولة تراقب السفراء حتى لا يستغلوا الميزات

(١) العدوي، المرجع السابق، ص ١٠١.

(٢) الفتلاوي، المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٣) الآلوسي، المرجع السابق، ص ٣١.

الممنوحة لهم بما يضر بأمن الدولة فضلاً عن تمتع السفير بحرية العبادة [(١)].

يبدو لنا أن الدولة العربية الإسلامية؛ وعلى امتداد ارض الإسلام قد وصلت إلى درجة عالية من الرقي والتقدم لأن الميزات المعطاة إلى السفراء تنم عن ممارسات شبيهة أو أكثر منها كانت تمارسها مع رعاياها من حرية عبادة وحرية معتقد فضلاً عن وجود جهاز رقابي.

أما الوفود والسفارات القادمة إلى الأندلس كانت لها حصانات وحقوق ترعاها السلطات في قرطبة [(٢)]. وعندما تصدر إساءة من الوفد، أو السفير ويخرج هذا الأخير عن الأصول الدبلوماسية التي يجب أن يتصف به، عند ذلك ينبه، وينذر وتقوم السلطات بإفهامه بأنه سفير ولولا صفته كسفير لعوقب مثلما حصل لرسل وصية ملك ليون عندما أساؤوا في حضرة الخليفة.

أما فيما يتعلق بصفات السفراء فالسفير ليس شخصاً كبقية الأشخاص من خلال تمتعه بسمات وصفات تأهله لكي ينتدب كسفير عن الأمير أو الخليفة، ولنا في السمات والصفات التي يتمتع بها سفراء الرسول محمد (ص) ورسله مثال حي يقتدى به عند اختيار السفير في الدولة العربية الإسلامية. فأولى تلك الصفات هي الأيمان العميق بأن الإسلام حق

(١) العدوي، المرجع السابق، ص ٥٠، ٥١.

(٢) الحجي، الحضارة الاسلامية، ص ٦٦.

خالص؛ لأنه هدى الله وما عداه ضلال، ثم الفصاحة التي يتمتع بها عرب شبه الجزيرة العربية بسبب قلة اختلاطهم بالأعاجم، ثم العلم الذي تمتع به السفراء إذ كانوا الصفوة في العلم، ثم حسن الخلق وما يحمله من صفات كثيرة: كالصدق، والرحمة، والتواضع، وغيرها، ثم الصبر وهو نصف الإيمان وقد حث عليه القرآن الكريم كثيراً، ثم الشجاعة التي تعتبر ضرورية لا للسفير حسب وإنما لكل إنسان ثم الحكمة إذ لابد للسفير من أنْ يكون ذكياً مقنعاً متزناً، غير متهور وحسن التصرف، ثم سعة الحيلة من خلال فهم الإيماء مكينا من عقله المراجع لنفسه والكتوم، وأخيرا المظهر وهو الشكل والمظهر الجميل[١].

لقد اهتم الغرب كثيرا بالصفات التي يجب أن يتمتع بها السفير وجهدوا على أنْ يجعلوه كاملاً بعيداً عن النقص وقد قسموا تلك الصفات على ثلاثة أقسام رئيسة هي الصفات الجسمانية والخلقية والثقافية[٢]. أما الصفات الجسمانية فكان: «يستحب في الرسول تمام القد وامتداد الطول وعبالة[٣] الجسم، فلا يكون قميئاً أو ضئيلاً. جهير الصوت وسيماً لا تقتحمه العيون ولا تزدريه النواظر.... وان كان المرء بأصغريه ومخبوءا تحت لسانه، ولكن الصورة تسبق اللسان والجثمان يستر الجنان»[٤].

---

(١) خطاب، محمود شيت: السفارات النبوية، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، (بغداد، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م) ص ٣٢٥ وما بعدها.

(٢) ابن الفراء، المصدر السابق، ص ١١٣.

(٣) من عبل وتعني الضخامة ينظر: الرازي، المصدر السابق، ص ٤٠٩.

(٤) ابن الفراء، المصدر السابق، ص. ن.

وإنَّ «أعين الملوك تسبق إلى ذوى الرواء من الرسل، وإنما توجب ذلك في رسلها لئلا ينقص اختيارها خطا من خطوط الكمال ولأنها تنفذ واحدا إلى أمة وفذاً إلى جماعة وشخصا إلى شخوص كثيرة. فاجتهدوا في أن يكون ذلك الواحد وسيما جسيما يملأ العيون المتشوفة إليه فلا تقتحمه. ويشرف على تلك الخلق المتصدية له فلا تستصغره»[١].

أما ما يتعلق بالصفات الخلقية الواجب توافرها عند الرسول فهي نفاذ الرأي، وحصافة العقل، وحسن استنباط غوامض الأمور[٢]. «وينبغي أن يكون حاضر الفصاحة مبتدر العبارة ظاهر الطلاقة ليعجب السامع بطلاوة حديثه ويسحره بحلاوة لسانه، ويفتنه بخلابة لفظه. ثم ليكون كلامه ممتعاً أنيقاً، نافعاً لذا في الاستماع، فان للبيان من السحر ما لا ينكر، وان له في التوصل إلى البغية ما هو معروف»[٣]. ولا يقتصر الأمر على الحاجة إلى الفصاحة وإنما لابد للرسول من أن يكون ذو ذكاء حاد وكبير وحجج قوية ووثاب عليها فتكون حجته سريعة لإظهارها وتحت لسانه، كما يجب أن يكون فاهماً للإيماء ويدرك حجج خصمه قبل أن ينطق بها وبعقل يقض وبطبع لا تطبع لأن الطبع يغلب التطبع وبدون تكلف لأن المتكلف أسرع

---

(١) ابن الفراء، المصدر السابق، ص ١١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص. ن.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٤ – ١١٥.

الناس إلى الخطأ وإلى الفضيحة، كذلك يجب أن يحتال في الحوار لأن ذلك أقوم للوصول إلى المطلوب وبلوغ المراد والهدف [١].

إن من الأمور الأخرى التي ينبغي أن يتمتع بها الرسول هي الجرأة والوقار والعقل الراجح ليميز الأمور الصحيحة من غيرها. كذلك يحتاج الرسول إلى الصبر، والحلم، وكظم الغيض، والتأني، والحزم لأن الحزم في ساعته كما قيل هو مفتاح الفوز، كذلك الأمانة صفة ينبغي أنْ تلازم الرسول حتى لا يخون مرسله [٢]. ومن الأمور الأخرى التي ينبغي أن يتحلى بها الرسل هي الابتعاد عن الإسراف في الانقباض لأنه يوجب الوحشة وفي الوقت نفسه إن الانبساط يوجب المؤانسة التي بدورها تجمع القلوب، كذلك الصدق صفة ينبغي أن يتصف بها الرسول؛ لأنها تورث الثقة والثقة تمهد للإجابة. وهنا لا بد من الإشارة إلى المحاذير التي لا بد للرسول من أن يتجنبها عند دخوله أرض المرسل إليه وهي الحذر من شرب الخمر؛ لأنها تفضح شاربها، وتظهر أسراره، كذلك الابتعاد عن الميل إلى النساء، فضلاً عن تجنب التدخل في شؤون المرسل إليه. أما ما يتعلق بالصفات الثقافية فإنها تكمل ما يتمتع به الرسول من صفات جسمانية، وخلقية إذ اشترط في الرسول الثقافة العامة الشاملة التي لا تعني بالضرورة التدقيق في كل علم وإنما أن يكون

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٥ — ١١٦.

للرسول أنس بكل علم يستطيع التكلم عنه فيما إذا اضطر لذلك [١].
«ولذلك قالوا ينبغي أن يجمع الفرائض والسنن والأحكام والسير ليحتذي مثال من سلف فيما يورده ويصدره، وان يعلم أصول الخراج والحسبانات وسائر الأعمال ليناظر كلا بحسب ما يراه من صوابه وخطئه»[٢].

وفي بعض الأحيان يلجأ بعض إلى إرسال ثلاثة رسل عندما ينقص شرط من الشروط في أحدهم فكان يرسل ثلاثة رسل الأول صاحب سيف والثاني من أهل الشريعة، والثالث من الكتاب حتى يحفظ قوانين السياسة ورسوم المكاتبات، وآداب المخاطبات. ومما تجدر الإشارة إليه فقد يفضل الرجل النبيل صاحب النسب الرفيع على غيره في اختياره كرسول؛ لأنه ينال من القبول ما لا ينال غيره فضلاً عن كونه لا يصدر منه إلا العمل، والفعل الحسن لأن فعله مقتبس من أهله وراثيا [٣]، وهذا يذكرنا بقول أحد الشعراء اللذين يعدون الرجل النبيل هو الشخص الأمثل ليصبح رسولاً حين يقول:

إذا ما كنت متخذا رسولا فلا ترسل سوى رجل نبيل

فان النجح في الحاجات يأتيلطالبها على قدر الرسول [٤]

---

(١) ابن الفراء، المصدر السابق، ص ١١٦ - ١١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٧ - ١١٨.

(٤) ابن الازرق، المصدر السابق، ص ٧٨.

وفي هذا الصدد يعبر ابن حزم الأندلسي عن مواصفات السفير وما يجب أن يتصف به إذ يقول ما نصه: «ويجب تخيره وارتياده، واستجادته واستفراهه، فهو دليل عقل المرء، وبيده حياته وموته، وستره وفضيحته بعد الله تعالى. فينبغي أن يكون الرسول ذا هيئه، حاذقا يكتفي بالإشارة، ويقرطس عن الغائب ويحسن من ذات نفسه، ويضع من عقله ما أغفله باعثه، ويؤدي إلى الذي أرسله كل ما يشاهد على وجهه، كأنما كان للأسرار حافظاً، وللعهد وفياً، قنوعاً ناصحا. ومن تعدى هذه الصفات كان ضرره على باعثه بمقدار ما نقصه منها»[1].

لقد كان في الشعر معنى واضح فضلاً عمّا تقدم حول الرسول وأهميته حينما يشبه بالسيف الذي يجب أن يصقل قبل الضرب به واستعماله في قول الشاعر:.

رسولك سيف في يمينك فاستجد حساما ولا تضرب به قبل صقله
فمن يك ذا سيف كهام فضـــــره يعود على المعني منه بجهله [2]

وقيل لمن يريد اختيار الرسول بأن يختاره في السلم والحرب وان الرسول له تأثيرٌ كبير على المرسل اليه لأنه يخشن قلبه أو يلينه ويبعد الأمر أم يقربه فضلاً عن انه يصلح الود ويفسده. ومن خلال الرسول

(١) ابن حزم، ابي محمد علي بن احمد بن سعيد: طوق الحمامة في الإلفة والألاف، ض. ن.: طاهر احمد مكي، دار المعارف بمصر، ط١ (القاهرة، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) ص ٥٨.
(٢) المصدر نفسه، ص. ن.

يمكن معرفة عقل مرسله وكذلك يمكن أن نحصل على ما خفي من خبره [١].

لقد كان الرسول يمتحن قبل ترشيحه رسولاً. وكان يحق للملك أن يمتحن من أراد ترشيحه ليصبح رسولاً إذ يمتحنه إمتحاناً طويلاً، قبل أن يجعله رسولا ويرسله إلى بعض خاصته مع مراقبته، فإذا نجح في هذا الامتحان، وأظهر صدق لهجته، جعله رسولا إلى عدوه، وتبقى العين عليه فان اتفقا فيما رجعا به، وعلم بصدق رسوله، جعله رسولاً إلى ملوك الأمم، وازدادت الثقة به، وأقام بعد ذلك خبره، مقام الحجه [٢].

يتضح مما تقدم أن شخصية الرسول شخصية مهمة؛ لأنها تدل على شخصية من أرسله لأن الأول يمثل، وينوب عن الثاني ويحل محله. ولهذا نجد العناية الفائقة في اختيار الرسول أو السفير؛ فضلاً عن الأهمية الفائقة للنتائج المترتبة على المهمة التي توكل إلى الرسول. ولو تتبعنا على سبيل المثال شخصية أحد سفراء الإمارة الأموية في الأندلس يحيى بن الحكم الغزال الذي أرسله الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى ملك النورمان «المجوس» لوجدناه يتحلى ببعض تلك الصفات ومنها: كان يعرف يحيى بن حكم الغزال بأنه حكيم الأندلس، وشاعرها، وعارفها

(١) المرادي، أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني: كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة، تح: رضوان السيد، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، (بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م) ص ٢٢١.

(٢) ابن الازرق، المصدر السابق، ص ٨٠ — ٨١.

أيضاً (١). وقد وصفه أحد أصدقاؤه بأنه قوي الجسم صحيح البدن ذو جمال واضح بالرغم من الشيب الذي على رأسه بسبب تقدمه في السن إلا أن الأمير لم يزل يداعبه بجمال خلقته وان سبب إختياره للسفارة يعود إلى انه يجمع الحسنيين: جمال الخلقة وحسن الخلق. وقد وصفه البعض بأنه ذو ذكاء حاد وكان مقداماً ويمتلك حنكة سياسية واضحة وثقافة عالية فضلاً عن كونه عالماً بالنجوم (٢).

لقد كان يتمتع بسرعة البديهة وحدة الخاطر وحسن الجواب والإقدام والدخول والخروج من كل باب وحتى الذي صحبه في سفارته الى بلاد النورمان وهو يحيى بن حبيب كان عالماً أندلسيا وأحد الرجال المقربين إلى أمير الأندلس (٣).

وكان للشعر نصيب في تسليط الضوء على إحدى صفات الرسول وهي الحكمة إذ ينبغي أن يكون الرسول حكيما وفي ذلك قول الشاعر:

---

(١) المقري، المصدر السابق: ٣ / ٢١.

(٢) سلامه، علي محمد: الأدب العربي في الأندلس تطوره – موضوعاته واشهر أعلامه، الدار العربية للموسوعات، ط١، (بيروت، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م)، ص ٢٤٥.

(٣) ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن: المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري وآخرون، ر: طه حسين، دار العلم للجميع، (دمشق، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م) ص ١٣٩ وينظر: حمود، سادسة حلاوي: مجلة واسط، جامعة واسط / العراق، مج / ١، ع / ٢، (١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م)، ص ٤٤.

إذا كنت في حاجة مرسلا   فأرسل حكيما ولا توصه [1]

وبعد أن أبرزنا الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الرسول نجد أنه لابد من القول إنَ الصفات المذكورة آنفاً سواء أكانت عن رسل الرسول محمد (ص) أو سفرائه أو الصفات التي يجب أنْ يتصف بها من جاء في العصور التي تلت عصر الرسول محمد (ص) نقول إن تلك الصفات تكاد تكون مثالية إلى حد ما، لأنه من غير المعقول أنْ تتوافر تلك الصفات كلها أو القسم الأغلب منها في شخص واحد، إذ إنَ تلك الصفات إن وجدت كاملة في شخص واحد أو تكتمل بشخص آخر فهما بمصاف الأنبياء والأوصياء.

(١) ابن الأزرق، المصدر السابق، ص ٧٩.

الفصل الثالث

(التمثيل الدبلوماسي لعصر الإمارة الأموية في الأندلس ١٣٨ - ٣١٦هـ / ٧٥٥ - ٩٢٨م)

المبحث الأول / نشأة الممالك الأسبانية

المبحث الثاني / السفارات والتمثيل الدبلوماسي

يقودنا الحديث عن العمل الدبلوماسي إلى تتبع البدايات التي كانت في ذهن عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)[١] التي ترجمها إلى أرض الواقع من خلال انتخابه لمولاه " بدر" التي تكون البذرة الأولى، وبداية للعمل الدبلوماسي المثمر في تأسيس الإمارة الأموية في الأندلس بقيادة الداخل وليبدأ فيما بعد عصر جديد عرف بعصر الإمارة (١٣٨ – ٣١٦ هـ / ٧٥٥ – ٩٢٨ م).

(١) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام يكنى أبا الطرف ولد في الشام سنة ١١٣ هـ / ٧٣١ م هرب لما ظهرت دولة بني العباس ولم يزل مستتراً إلى أن دخل الأندلس ١٣٨ هـ / ٧٥٥ م. وللمزيد من التفاصيل ينظر/ الحميدي، المصدر السابق، ص ١٥ – ١٦؛ ابن الفرضي، المصدر السابق: ١ / ١١. وللتعرف على معنى الداخل ونسب عبد الرحمن بن معاوية ينظر / ملحق رقم (٥).

لقد وصل عبد الرحمن بن معاوية الداخل إلى المغرب سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م [(١)]، ومن هناك بدأ تفكيره بالأندلس، وإن ذلك يعود إلى أسباب عدة أولها: البعد المكاني للأندلس عن العباسيين ونفوذهم وان دولتهم منهمكة في مشاغلها الداخلية والمناطق القريبة من عاصمة دولتهم بغداد، أما السبب الثاني فيعود إلى أن عبد الرحمن كان على علم وإطلاع بالمشاكل الداخلية واشتداد العصبية القبلية في الأندلس التي كانت نتيجتها الحرب بين المضرية واليمنية[(٢)]، ويمكن أن نضيف الطموح الشخصي العالي لعبد الرحمن الداخل وتطلعه إلى إعادة ملك أجداده الذي فقد في الشرق بسقوط دمشق(١٣٢ هـ / ٧٤٩ م). إن حالة الاستقرار النسبي التي عاشها عبد الرحمن الداخل بعد معاناته طريداً جعلته يفكر بالاتصال بالموالي الأمويين في الأندلس.ويبدأ عمله الدبلوماسي بإرسال سفيره ومولاه بدر إلى الأندلس سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م بعد أن رسم له

---

(١) ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن أبي هبيرة الليثي العصفري: تاريخ خليفة بن خياط، ض. ن: مصطفى نجيب وحكمت كشلي، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م)، ص ٢٧٢.

(٢) التواتي، عبد الكريم: مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، مكتبة الرشاد، ط١،(الدار البيضاء، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م)، ص ١١٠ – ١١١ وينظر: الدوري، إبراهيم ياس خضير: عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية، دار الرشيد للنشر، (بغداد، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م) ص ٤٢ – ٤٣.

خطة عمل وزوده بصورة واضحة عن أحوال البلاد المتوجه إليها وأعطاه خطاباً مكتوباً إلى موالي بني أمية هناك[١].

وعن ذلك يقول رسول عبد الرحمن بن معاوية " بدر ": «فجزت إلى الأندلس، واجتمعت بعبيد الله بن عثمان[٢] بساحل البيرة[٣] [Elvira]، في آخر سنة ١٣٦ [٧٥٣ م]؛ ثم انصرفت في سنة سبع بعدها، وأقمت عنده مدة؛ ثم كررت منصرفاً إلى الأندلس في موالي عبد الرحمن»[٤].

وعند وصول بدر إلى الأندلس التقى بموالي المروانيين وراح يبث الدعوة بينهم فاستجابت له اليمانية ثم قفل راجعاً إلى الشمال الأفريقي حيث مولاه عبد الرحمن بن معاوية، وأخذ يشرح له ما صادفه، وما جرى

---

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٦٦٧ وينظر: دوزي، Renhardt Dozy المستشرق الهولندي: تاريخ مسلمي اسبانيا، تر: حسن حبشي، مر: جمال محرز ومختار العبادي، دار المعارف، (القاهرة، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م): ١ / ١٨٩.

(٢) هو أبو عثمان عبيد الله بن عثمان أحد اللذين يتوليان حمل لواء بني أمية بالأندلس وكان لهما ولبني أمية بلاء مشهود في مجتمع الأندلس. ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق: ٢ / ٤٢.

(٣) مدينة من مدن الأندلس نزلها جند دمشق من العرب تبعد عن غرناطة ست أميال أي ما يعادل (٩٫٦٥٤ كيلو متر) وعن قرطبة تسعون ميلاً أي ما يعادل (١٤٤٫٨١ كيلو متر)، كثيرة الأنهار والأشجار. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الناسي: لمسالك والممالك، تح: محمد جابر الحسيني،(القاهرة،١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م)، ص ٣٦؛ ابن غالب، محمد بن أيوب الأندلسي: فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ‹ مختصر منه بعنوان / تعليق منتقى من فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ›، تح: لطفي عبد البديع (القاهرة، د. ت)، ص ١٤ .

(٤) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٤٦ وينظر: ابن عذارى، المصدر السابق: ٢ / ٤١.

بينه، وبين الموالي في الأندلس فعبر بعدها عبد الرحمن البحر سنة «١٣٨ هـ / ٧٥٦م» ووطئ شواطئ الأندلس[١].

ومن بين ما دار من حديث مثمر وناجح بين المروانيين وبدر حين خاطبهم قائلاً: «ما رأيكم في رجل من أهل الخلافة يطلب الدولة بكم، فيقيم أودكم ويُدرككم آمالكم ؟ فقالوا: ومن لنا به في هذه الديار، فقال بدر: ما أدناه منكم وأنا الكفيل لكم به، هذا فلان بمكان كذا وكذا يقدمن نفسه فقالوا: فجئ به أهلا، إنا سراع إلى طاعته، وأرسلوا بدراً بكتبهم يستدعونه...»[٢].

عبر عبد الرحمن بن معاوية البحر سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٥م وأرسى في مدينة المنكب[٣] Almunecar على الساحل الجنوبي الشرقي من

(١) ابن خلدون، المصدر السابق: ٤ / ١٤٥ وينظر: مجهول: تاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م)، ص ١٦٢؛ العزاوي، عمار عبد الرحمن حسين: الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) وسياسته الداخلية والخارجية في الأندلس من ٢٠٦ – ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ – ٨٥٢ م، رسالة جامعية غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، (بغداد، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) ص ١٥ – ١٦.

(٢) ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني: الإحاطة في أخبار غرناطة، شر و ض: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م): ١ / ٢٤٧.

(٣) هي مرسى بحري بشرقي الأندلس، له نهر يصب في البحر، وهو أول بقعه وطئتها أقدام عبد الرحمن بن معاوية عند دخوله الأندلس وذلك لحصانته ومنعته من البر والبحر. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص ١٨٦؛ عنان، محمد عبد الله: الآثار الأندلسية

الأندلس على البحر المتوسط ونزل بقرية تدعى طرش Torrox [١] واجتمع الناس من حوله، وكثر مؤيدوه [٢]. وهنا تنتهي مهمة بدر بتحقيق هذا النصر الدبلوماسي الكبير الذي سيعيد الحكم للأمويين بعد أنْ فقدوه في الشرق بقيادة عبد الرحمن ابن معاوية، وليبدأ عهد جديد عرف بعهد أو عصر الإمارة الذي بدأه عبد الرحمن بن معاوية سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٥ م وليستمر هذا العصر بالرغم من وفاته سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م لأبنائه، وأحفاده من بعده [٣]. وعن هذا الأمر تحدث عبد الرحمن بن معاوية عندما سمع من عم له وهو يخاطب جده الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥ هـ / ٧٢٤ – ٧٤٣ م) وهو ينظر إليه قائلاً «هذا هو الذي يحيي ملك بني مروان بالمغرب بعد ذهاب ملكنا بالمشرق !» [٤].

الباقية في أسبانيا والبرتغال، مؤسسة الخانجي، ط ٢، (القاهرة، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م)، ص ١٢٥٨ ملحق رقم (٣).

(١) هي قرية في الأندلس من كورة البيرة وتشتمل على عدد من القرى. ينظر / الحموي، معجم البلدان، ١٣ / ٢٩؛ ابن عذارى، المصدر السابق: ٢ / ٤٤؛ ملحق رقم (٣).

(٢) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٢١٦. وينظر: الدوري، المرجع السابق، ص ٥١؛ دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا: ١٩٧/١.

(٣) للتعرف على نسب الأمويين في قرطبة ينظر: ملحق رقم (٦) والمعرفة حكام الأندلس بعد عبد الرحمن الداخل حتى نهاية الخلافة الأموية هناك ينظر: ملحق رقم (٧).

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق: ٤ / ١٤٥ وينظر: عبد الله أنيس الطباع، محقق كتاب: ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي: الحلة السيراء، دار النشر للجامعيين، (بيروت، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م)، ص ١٩٥ الهامش ولتفاصيل أكثر ينظر: ابن الخطيب، لسان الدين السلماني: تاريخ أسبانيا الإسلامية. أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام

إن العمل الدبلوماسي الناجح الذي قام به «بدر» في الأندلس لا يقتصر على مصير عبد الرحمن بن معاوية فحسب؛ وإنما يتعداه إلى أن هذا العمل كان الأساس الذي بنيت عليه الدولة الأموية في الأندلس فيما بعد. وإذا كان بعضهم يعد عبد الرحمن بن معاوية مؤسس تلك الدولة فان بدراً الواضع والباني لأساسها. وقديما قيل: «إن البناء من غير أس لا يُبنى والزرع من غير غرس لا يُجنى».

نشأة الممالك الأسبانية

إن عمليات الفتح التي قام بها المسلمون في شبه الجزيرة الأيبيرية " الأندلس " (اسبانيا والبرتغال حاليا) أسفرت عن سيطرتهم على معظم أجزاء شبه الجزيرة، إلا أنهم عندما وصلوا إلى المناطق الشمالية والشمالية الغربية وتوغلوا في جبال تلك المناطق الصخرية والمؤدية إلى سواحل كانتبرية Cantabrian على المحيط الأطلسي لم يسيطروا سيطرةً كاملة على تلك الأرض ويفرضوا سلطانهم عليها بشكل حقيقي وفعال ولاسيما في إقليم (اشتوريش Asturia)(١) في (جليقية Galicia)(٢) وذلك بسبب وعورة

من ملوك الإسلام، تح و تع: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، (القاهرة، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤ م)، ص ٧.

(١) إن اشتوريش القديمة هي اليوم ولاية أوفيدو Oviedo ويسميها العرب أوبيط. ينظر: ارسلان، الحلل السندسية:٢ / ٤٤ – ٤٥.

(٢) ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من الغرب، وهي سهل وبلد الجليقيين والجلالقة من ولد يافث بن نوح رضي الله عنه وللمزيد من التفاصيل ينظر:

تلك المنطقة وقسوة مناخها [١]. لقد استغل بعض القوط المنهزمين تلك الأوضاع ولجأوا إلى تلك الجبال واختفوا فيها للتجمع والاستعداد بانتظار الفرصة السانحة لمقاومة المسلمين الفاتحين للأندلس والذين استهانوا بأمر تلك المناطق وبقلة عدد القوط المنهزمين المتمركزين بها فانصرفوا عنهم، الأمر الذي فسح المجال لتلك الفلول المنهزمة والأعداد القليلة بأن تكون كيانا قويا استطاع مع الأيام مقارعة المسلمين في الأندلس حتى بلغ الأمر أن تحول ذلك الكيان وتلك الفلول من صفة الدفاع إلى صفة الهجوم [٢].

لقد عبّر مؤنس عن رأي لما تقدم مفاده أن المسلمين بتوغلهم في الأندلس ووصولهم إلى الشمال الأسباني جعل أصحاب القرار والقادة المسلمين يعتقدون أن فتح أسبانيا قد تم وأنهم سيطروا على كامل الأرض الأسبانية [٣].

الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٦٦؛ الحموي، معجم البلدان: ٦ / ١٥٧؛ ملحق رقم (٢).

(١) طه، عبد الواحد ذنون: دراسات أندلسية،،منشورات مكتبة بسام / مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، ط١، (الموصل، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م): ١ / ١٥٥ وينظر: الأنصاري، فريدة رؤوف: الإمارة الأموية في الأندلس على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨ – ١٧٢ هـ /٧٥٦ – ٧٨٨ م) دراسة سياسية،رسالة جامعية غير منشورة، جامعة بغداد – كلية الآداب، (بغداد، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، ص١٩٩.

(٢) طه، دراسات أندلسية، ص. ن.

(٣) فجر الأندلس، ص ١٠٥. وينظر: الدوري، المرجع السابق، ص ١٩٤.

يبدو مما تقدم أن صعوبة تضاريس المنطقة الشمالية والشمالية الغربية من أسبانيا؛ فضلاً عن الاعتقاد الذي ساد عقول قادة المسلمين بأنهم أكملوا فتح الأرض الأسبانية بكاملها، وقضائهم على كل مقاومة يمكن أن تكون ضدهم، من بين الأسباب التي فسحت المجال أمام الفلول المنهزمة من القوط للتجمع في تلك المناطق مستغلين وعورة الأرض وقسوة الجو، وهذا ما يستشفه من يعتمد على ما ذكر آنفاً. إلا أن تلك الأسباب يمكن أن يعول عليها من كان بعيداً عن المعارك الحربية وغير المتخصص بفنون الحرب، وهذا لا ينطبق على القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد اللذين خبرتهما ظروف المعارك حتى جعلتهما يصلان إلى قناعة بأن تلك المناطق الوعرة والظروف الجوية القاسية يمكن أن تكون ملاذا آمنا للفلول المنهزمة أمام جيوش الفتح، فمن غير المعقول أن يكون هذا الأمر غائبا عن بال هذين القائدين موسى وطارق.

ولهذا فإن من الأسباب الأخرى التي ساعدت القوط على التجمع في تلك المناطق وصول مغيث الرومي مبعوث[1] الخليفة الأموي الوليد بن

(١) ثم أتاهما عهد الوليد بن عبد الملك بالانصراف، فانصرفا: ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٥. وكان مغيث الرومي غلاما للوليد بن عبد الملك فبعث إليه طارق إنك إن رفعت أمري إلى الوليد، وان فتح الأندلس كان على يدي، وان موسى حبسني يريد قتلي أعطيتك مائة عبد، وعاهده على ذلك فلما أراد مغيث الانصراف ودع موسى بن نصير وقال له: لا تعجل على طارق ولك أعداء، وقد بلغ أمير المؤمنين أمره وأخاف عليك وجده فانصرف مغيث وموسى بالأندلس فلما قدم مغيث على الوليد أخبره بالذي كان من فتح الأندلس على يدي طارق، وبحبس موسى إياه وما أراد به من القتل، فكتب الوليد إلى موسى

عبد الملك (٨٦ – ٩٦ هـ / ٧٠٥ – ٧١٤ م) يبلغ فيه القائد موسى بن نصير بالتوقف عن الفتوحات، والمثول أمام الخليفة في دمشق، وإن هذا الأمر جعل القائد موسى بن نصير يوافق [١] على عقد صلح مع أهالي منطقة جليقية التي كانت جيوش المسلمين على مشارفها، وينقذ في الوقت نفسه الجيوب المنهزمة من القوط التي تجمعت في تلك المنطقة هربا من جيش الفتح [٢]. ولذلك يمكن القول إن تكوّن نواة للقوط في تلك المنطقة يعود إلى توقف عمليات الفتح استجابة لأمر الخلافة الأموية في دمشق وبذلك يمكن أن نحملها نتائج ما ترتب على ذلك التوقف من نتائج سلبية مستقبلا. ولكن العمليات العسكرية لم تتوقف بذهاب القائد

يقسم له بالله لئن ضربته لأضربنك، ولئن قتلته لاقتلن ولدك به، ووجه الكتاب مع مغيث الرومي فقدم به على موسى في الأندلس فلما قرأه أطلق طارقا وخلى سبيله ووفى طارق لمغيث بالمائة عبد التي كان قد جعلها له. ينظر: ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح أفريقية والأندلس، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني،(بيروت، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م)، ص ٨٠ – ٨١؛ مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ١ / ٢٢ – ٢٣. هناك من يرى أن الأندلس كادت تسقط كاملة بيد المسلمين لولا وصول رسول الخليفة الوليد.

ينظر / http: // www. Alshamsi. net / man / Oman / andaluss.html.

(١) هناك من يشير إلى أن موسى بن نصير عندما جاءه رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك لم يسرع بالرجوع وإنما سعى لاستكمال فتوح شبه الجزيرة (الأندلس) حيث غزا بلاد البشكنس ثم توجه شمالا فأطاعه رؤساء جليقية وأساقفتها وبعدها أدركه رسول ثان يطلب منه العودة إلى دمشق. ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٤٢ - ٢٤٣؛ السامرائي، إبراهيم وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، جامعة الموصل، (الموصل، د. ت) ص٤١.

(٢) العمايرة، محمد نايف: مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان، ط ١، (الأردن، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) ص ٤٧.

موسى بن نصير الذي استدعي إلى دمشق من لدن الخليفة؛ وإنما استمرت بعد أن استخلف من ينوب عنه وفي هذا الأمر يقول ابن القوطية: «وشد موسى بن نصير حصون الأندلس، واستخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس، وأسكنه اشبيلية، وخلف معه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، وأقام عبد العزيز يفتتح ما بقي عليه من مداين الأندلس»[1]. وعن الموضوع نفسه تحدث ابن عذارى قائلا: «لما قفل موسى بن نصير، استخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس؛ فضبط سلطانها، وسد ثغورها، وافتتح مدائن كثيرة. وكان من خير الولاة، إلا أن مدته لم تطل؛ لوثوب الجند عليه وقتلهم له، لأشياء نقموها عليه...»[2].

لقد نشأت في أسبانيا المملكة الإسبانية النصرانية بشيء من الصمت الذي لم يشعر به العرب المسلمون في الأندلس إلى جانب الدولة العربية الإسلامية هناك، ولم يتحسسوا نموها في سنواتها الأولى والأكثر من ذلك إن العرب هناك لم يهتموا بها بالشكل المطلوب حين شعروا بوجودها، ولم يعنيهم أمرها إلا حينما تبلورت وانتظمت وظهرت للوجود كقوة لها القدرة على العدوان والمقاومة، ومن هنا أخذت المملكة الإسبانية النصرانية مكانها في تاريخ شبه الجزيرة الابيرية بجانب الدولة العربية الإسلامية. إلا أن نشأة هذه المملكة ما كان إلا مرحلة جديدة في حياة مملكة القوط التي سحقها العرب المسلمين عندما فتحوا الأندلس عام

(١) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٣٦.

(٢) ابن عذارى، المصدر السابق: ٢ / ٢٤.

(٩٢ هـ - ٧١١ م) التي ظهرت بعد ذلك لتعيد حياتها ببطء وتواضع، في المنطقة الشمالية الغربية من اسبانيا في منطقة صخرية، لكن نموها هذا امتاز بالثبات حتى قويت دعائمها في تلك المناطق، ثم بدأت معركتها مع دولة الإسلام جنوب الأندلس، تلك المعركة التي شغلت حيزاً كبيراً في تاريخ الإسلام في اسبانيا [1].

لقد بدأت المملكة الإسبانية النصرانية في ظروف يمكن تشبيهها بالأساطير، وقد نشأت في الوقت الذي افتتح العرب أسبانيا، واستطاعوا هزيمة القوط والقضاء على دولتهم ومطاردة فلولهم المنهزمة بعد موقعة شريش التي هزم فيها جيش القوط وقتل ملكهم ردريك «لذريق» «٩٢ هـ / ٧١١ م»[2]. فلقد استطاعت الشراذم المنهزمة من القوط التجمع في جهتين الأولى في هضاب كانتبرية ـ نافار وبسكونية في الشرق ـ والأخرى في منطقة اشتوريش في الغرب، أما الأولى فكانت بزعامة الدوق بطره أو بتروس Pedro الذي يرجع إلى أحد الأصول الملكية إذ كان من قادة الجيش في عهد غيطشة ولذريق الملكيين القوطيين، وكانت تلك الإمارة قليلة الخطر نتيجة لوقوعها على الطرف الغربي من جبال ألبرت أو البرانس[3] Pirenees في منطقة نافار وبسكونية؛ أي إنها تقع

(١) عنان، دولة الإسلام، ص ٢٠٧ – ٢٠٨.

(٢)عنان، دولة الإسلام، ص ٢٠٨.

(٣) وهي جبال تفصل بين فرنسا واسبانيا وتمتد من البحر المتوسط إلى المحيط الاطلانطيكي (الأطلسي) وللمزيد من التفاصيل ينظر: القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي: صبح

على خط سير تحرك جيوش المسلمين في ذهابها وإيابها إلى جنوب فرنسا إذ أصبحت عرضة لتلك الجيوش.أما الإمارة الأخرى جليقية أو مملكة اشتوريش فكانت أكبر خطراً من إمارة كانتبرية، ويرجع السبب في ذلك إلى أنها تقع في منطقة جبلية وعرة، وبعيدة عن خط سير الجيوش الإسلامية المتجهة نحو فرنسا. وكانت فلول القوط فيها قد التجأت إلى مغارة تدعى كوفادونكا Covadonga في جبال كنتبرية الحصينة وفي أعلى قممها التي يسميها الأسبان قمم أوربا Picos de Europa ويطلق عليها المسلمون «الصخرة» في جليقية، أما قائد هذه المجموعة فهو« بلايو » Pelayo وتسميه الرواية العربية «بلاي» ومن المرجح انه من أصل قوطي نبيل إلا أن بعضهم يدعي انه ابن دوق كنتبرية ومساعد الملك لوذريق[1].

ومن الجدير بالذكر أن بلاي وقع أسيراً بيد المسلمين وسجن سنة (٩٨ هـ / ٧١٦ م) في قرطبة في زمن الوالي الحر بن عبد الرحمن الثقفي (٩٨ - ١٠٠هـ / ٧١٦ - ٧١٨ م) إلا أنه تمكن من الفرار واتجه نحو منطقة اشتوريش في الشمال الغربي من الأندلس وتجمع حوله عدد من الفارين

الأعشى في صناعة الانشا، شر: نبيل خالد الخطيب، ط ١، (بيروت، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م): ٥ / ٢٠٦؛ أرسلان، الحلل السندسية: ٢ / ٧٨ وما بعدها.

(١) طه، دراسات أندلسية، ص ١٥٦ وينظر: طه، عبد الواحد ذنون: مجلة أوراق، قيام الممالك الاسبانية وعلاقتها مع العرب في الأندلس، المعهد الاسباني العربي للثقافة، ع / ٥ و ٦، ١٩٨٢ - ١٩٨٣ م، ص ٨٩ - ٩٠.

من أمام جيش المسلمين وراح يحثهم على المقاومة وعدم الاستسلام [١].
إن المسلمين في الأندلس سيّروا جيشاً لإخضاع تلك الشراذم المتحصنة بتلك الجبال الوعرة، فاجتاح المسلمون منطقة البشكنس وأشتوريش، ومما يلفت النظر إن المسلمين أوفدوا حليفا لهم (الأسقف أوباس) ليقنع (بلاي) بالتسليم إلا أن هذا الأخير رفض هذا العرض وظل في كهوفه المنيعة، وعبثا حاول المسلمون الوصول إلى عدوهم على الرغم من كل الممارسات التي قاموا بها من حصار وقطع للمؤونة، وتشير بعض الروايات إلى أن (بلاي) هجم على جموع المسلمين وقتل منهم الألوف [٢]، وكان عدد أنصاره يقدر بثلاثين رجلاً وعشر نساء [٣]. ولكن هذه الروايات لا تخلو من المبالغة لان بلاي حينها لم يبق له من أعوان وأنصار إلا القليل كما مر بنا آنفاً ومن غير المعقول أن يواجه بهذا العدد القليل جيش المسلمين ويلحق بهم هزيمة وقتلى بالألوف!.

لقد راح (بلاي) ومن كان في أمرته في تلك الأماكن المحصنة والمنيعة، بعد أنْ صدوا هجمات المسلمين، يتحينون الفرص لمهاجمة المسلمين، وبالفعل قام بمهاجمة جيش المسلمين ثم ارتد إلى أماكن تحصينه واعتصم بها [٤].

---

(١) طه، دراسات اندلسية، ص ١٥٦ – ١٥٧ وينظر: طه، مجلة أوراق، قيام الممالك الإسبانية، ص٩٠.

(٢) عنان، دولة الاسلام، ص ٢١١.

(٣) الدوري، المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٤) عنان، دولة الاسلام، ص ٢١٢.

إن الاضطرابات التي عاشتها الأندلس بعد مقتل الوالي عبد الرحمن الغافقي (١١٢ – ١١٤ هـ / ٧٣٠ – ٧٣٢ م)، وهزيمة جيشه في معركة بلاط الشهداء بعد استشهاده (١١٤ هـ / ٧٣٢ م) وانشغال الولاة بالتصدي لجيوش الفرنجة عن الأراضي في (إقليم سبتمانية Septimania) أدت إلى كثرة الغارات التي شنها (بلاي) وعصاباته على الأراضي الإسلامية وبذلك ظهر واضحاً خطر تلك العصابات المنطلقة من منطقة جليقية. وعندما لاحظت سلطة الأندلس خطر تلك العصابات سارت إليها بجيش من المسلمين ولكن النصارى تحصنوا في تلك الجبال المنيعة نفسها التي كانت مستقراً ومنطلقا لهم [١]. ولم يحصل ذلك الجيش على شيء مما أدى إلى انسحابه، وإن ترك أمر هؤلاء المقاومين، وإغفال شأنهم من أهم الأخطاء التي تسجل على عرب الأندلس، إذ قويت شوكتهم وانضم إليهم العديد من الأنصار وصار(بلاي) ملكا عليهم [٢]. إن الذي زاد الأمر سوءاً انقسام العرب أنفسهم وانصرافهم إلى الصراعات الداخلية فيما بينهم الأمر الذي صرف أنظارهم عن مراقبة الأندلس والاستمرار في اليقظة والحذر، ناهيك عما نتج عن الحروب بين العرب والبربر التي أدت إلى مغادرة الكثيرين من البربر للأماكن التي سبق لهم الاستقرار فيها في الشمال الغربي الأقصى وتوجههم إلى الجنوب، بل وصل الحال إلى عودة قسم منهم الى إفريقيا وبهذا فقد أصبحت تلك المناطق خالية فكان

(١) المرجع نفسه، ص. ن.

(٢) طه، دراسات أندلسية، ص ١٥٨.

من الطبيعي أن يستغل القوط تلك المناطق ويسكنوا فيها ويتنفسوا الصعداء [١].واستمر (بلاي) في حكم إمارة جليقية تسعة عشر عاماً وتوفي سنة «١٢٠ هـ/ ٧٣٧م» ولكن الروايات النصرانية تشير إلى أن تاريخ وفاته أبعد من ذلك يصل إلى ولاية عبد الرحمن بن يوسف الفهري للأندلس (١٢٧ – ١٣٧ هـ / ٧٤٥ – ٧٥٥ م)، ثم جاء من بعده ولده (فافيلا) الذي لم يستمر حكمه إلا عامين فقط [٢].

لقد أشار(عنان) إلى هذا الأمر ذاكراً أن فافيلا خلف أباه بلاي، لكن الأول توفي سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م عن حكم يناهز العامين. وفي الوقت نفسه توفي أمير كانتبريا الدوق بتروس الذي جاء من بعده ولده ألفونسو AlFonso ليصبح دوق كانتبريا، وقد نمت هذه الإمارة الصغيرة وقوي ساعدها، وقويت أواصر التحالف بينها وبين مملكة جليقية بزواج أميرها الفونسو من أرموزندة أو هرموزندة Ermensin ابنة بلاي. وعندما توفي فافيلا، وقع اختيار الجلالقة على ألفونسو دوق كانتبريا ليكون ملكاً عليهم، وهكذا اتحدت تلكما المملكتان لتشكلا مملكة نصرانية واحدة، هي مملكة ليون والمعروفة في الرواية الإسلامية بمملكة جليقية، التي تمتد من بلاد البشكنس شرقا إلى شاطئ المحيط غرباً، ومن خليج بسكونية شمالاً إلى نهر دويرة جنوباً، وبهذا شملت مساحات ومناطق كبيرة وشاسعة من جبال وهضاب وعرة، واحتمت خلف الجبال البعيدة

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٠٩.

(٢)عنان، دولة الاسلام، ص ٢١٣.

عن أيدي المسلمين وغزواتهم. ويعد ألفونسو دوق كانتبريا، الذي يسمى أيضاً ألفونسو الأول الملقب بالكاثوليكي مؤسس تلك المملكة النصرانية الشمالية [1].

أما القسم الشرقي من تلك المملكة فقد عهد به (الفونسو) هذا إلى أخيه (فرويلا) الذي راح يُغير على أراضي المسلمين ثم يرجع مسرعاً إلى الجبال حتى يتحصن بها خوفاً من أن يلحق به المسلمون، إلا أنَ المسلمين حينها كانوا في شغل شاغل عما يجري من فعل النصارى بالمسلمين إذ انشغلوا بالفتن والصراعات الداخلية عن الجهاد، وصد الهجمات النصرانية [2].

يبدو مما تقدم أن الأسلوب الذي اتبعه فرويلا هذا هو أسلوب الكر والفر مستفيداً من وعورة الأرض الجبلية التي يختبئ بها؛ فضلاً عن انشغال المسلمين بصراعاتهم الداخلية، كذلك سعى النصارى في شمال وشمال غرب الأندلس إلى الوحدة ولم الشمل وكانت النتيجة تكوين المملكة النصرانية الشمالية إلا أنها لم تصل إلى مرحلة النضج الكامل وإنما كانت في مرحلة التكوين. وفي الوقت نفسه كانت رياح الفرقة، والحرب الأهلية تعصف بالأندلس فضلا عن الفوضى وضعف المسلمين في تلك الأنحاء مما فسح المجال أمام الفونسو وجموعه ليجتاح المناطق

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢١٣.

(٢) عنان، دولة الاسلام، ص ٢١٤.

القريبة منه ويقتل من كان بها من مسلمين. وهكذا نشأت تلك المملكة النصرانية واتسعت حدودها واشتد ساعدها وقويت يوما بعد يوم حتى جاء القرن الثامن فإذا بها تصارع الإسلام في الأندلس وتغير على أراضيه وتعيث قتلاً بالمسلمين، ونهباً وسلباً لممتلكاتهم [١].

السفارات والتمثيل الدبلوماسي

في المبحث السابق وقع القول في: كيف تكونت الممالك الأسبانية، ورغم ذلك فهي لم تظهر أو تصل إلى مرحلة الوضوح، أو النضوج الكامل وتظهر إلى الوجود بشكل جلي [٢]. وبالمقابل فان عبد الرحمن الداخل اتبع سياسة اللين منذ البداية إلا أنها لم تجدِ نفعاً الأمر الذي جعله يتبع سياسة جديدة قوامها الشدة ضد الخصوم، حيث انشغل بترتيب أوضاع الأمارة الأموية الناشئة في الأندلس والقضاء على الثورات التي حدثت ضده والتي كانت كثيرة إلى الحد الذي ما كان يفرغ من ثورة حتى تندلع غيرها [٣]. ولأجل تحقيق الاستقرار عمد الأمير عبد الرحمن بن معاوية إلى إعادة تنظيم الجيش اعتماداً على أشخاص يثق بهم من عائلته أو من البيت الأموي الهاربين من مجازر العباسيين [٤]. إلا أن خصوم

(١) المرجع نفسه، ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٢) الحجي، أندلسيات: ٢ / ٦٣.

(٣) الدوري، المرجع السابق، ص ٩٩.

(٤)

الأمارة الجديدة لم يكونوا في داخل الأندلس حسب وإنما في خارجها أيضاً وبرغم ذلك فانه رحب بكل سلم ومهادنة لأنه أراد تكريس جهوده لقمع الثائرين وتثبيت أركان دولته الجديدة ولهذا فهو لم يتوانَ في عقد الأمان [1] الذي تم بينه وبين مسيحيي الشمال سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م. إن هذا الأمان أدى إلى وصول سفارة من الشمال لهذا الغرض في أيام «فرويلا الأول Fruela I» (١٤٠ – ١٥١هـ / ٧٥٧ – ٧٦٨ م) الذي كان يواجه اضطرابات ومشاكل داخلية، وبالإفادة من الرغبة المتبادلة في السلم؛ لأن الأندلس مثلما ذكرنا كانت تعيش حالة غير مستقرة تتمثل بأحداث الوالي السابق يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وتصدي عبد الرحمن الداخل له [2]. وهذا يعني أن ديدن هؤلاء الشماليين كان اللجوء الى السلم والمهادنة عندما يضطرون إلى ذلك نتيجة لحدوث ثورات أو تمردات ويتأزم الوضع الداخلي في مملكتهم.

كما ترد إشارة إلى إرسال مبعوثين من الأندلس إلى إمبراطور فرنسا(بيبين Pippin) حيث استقبل في(اكوتين Aquitaine) – مدينة جنوب

Jose – Luis Martin.Y Otros , Historia de Espana , Aguilar. Altea. Taurus. Alaguara S. A. (Madrid , ١٩٩٨). p. ٧١.

(١) للتعرف على مضمون هذا الأمان ينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ١٩٩؛ الحجي، أندلسيات: ٢ / ٦٣ – ٦٤؛ الدوري، المرجع السابق، ص ١٩٨.

(٢) الحجي، أندلسيات: ٢ /٦٥.

فرنسا - في سنة ١٥١ هـ / ٧٦٨ م وفداً من السراسين [١] Saracens في أسبانيا الذين قدموا عبر مرسيليا [٢]. أما في أيام هشام الأول (١٧٢ - ١٨٠ هـ / ٧٨٨ - ٧٩٦ م) ابن عبد الرحمن الداخل فلم يكن هناك تمثيل دبلوماسي أو علاقات ودية ذات أهمية. والحال ذاته ينطبق على الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦ هـ / ٨٢٢ - ٨٥٢ م) المعروف بالحكم الأول [٣]، باستثناء ما ذكره (أرسلان) في كتابه إذ أشار إلى أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم أرسل رسلا سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م إلى مدينة كومبيان Compiegne التي كان يقيم فيها الإمبراطور. ومن الجدير بالذكر إن الأمير عبد الرحمن كان يمارس أعمالاً كهذه في حياة أبيه، وقد توجه الرسل إلى مدينة اكس لاشابيل Aix la Chapell التي كان يعقد فيها مجلس شورى وكان غرض الرسل عقد متاركة [٤]، وانعقدت إلا أنها لم تستمر طويلاً [٥]. كما إن هناك من يزعم أن أمير قرطبة أرسل وفداً إلى (شارلمان) وقد وصل الوفد

---

(١) إن كلمة السراسين هنه تعني العرب وقد أطلقها الرومان والغربيون على كل العرب.ينظر: البعلبكي، منير: المورد / قاموس انكليزي - عربي، دار العلم للملايين، ط ٣٧، (بيروت، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م)، ص ٨١٢؛ السامر، المرجع السابق، ص ٤٦ - ٤٧. ومن الجدير بالذكر أن المراجع الحديثة ومنها الفرنسية لازالت تستخدم هذه الكلمة مثل:

Georges ,Duby: Histoire de La France ,Volume ١, Larousse (Paris , ١٩٩٩) , P. ١٩١.

(٢)

Pirenne.Henri: Mohammed and Charlemagne , Unwin university Book. (London , ١٩٦٨) P. ١٦٠.

(٣) الحجي، أندلسيات: ٢ / ٦٩.

(٤) تاركه أي صالحه على تركه. ينظر: مصطفى، المعجم الوسيط، ص ٨٤.

(٥) تاريخ غزوات العرب، ص ١٨٦ - ١٨٩.

إلى اكس لاشابيل [١] Aix la Chapell وكان هدف الوفد عقد صلح بين الطرفين الأندلسي والفرنسي، وبموجب هذا الصلح على العرب في الأندلس التنازل(لشارلمان) عن جميع الأراضي الواقعة بين نهر ابره، والبيرانه وانعقد هذا الصلح في سنة ١٩٥ هـ / ٨١٠ م أي في زمن الحكم الأول [٢].

أما في زمن عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ – ٨٥٢ م) فقد ساد الاستقرار الأندلس، التي وصلت إلى درجة عالية من الهيبة والنفوذ مما انعكس على الجانب الدبلوماسي ومنه السفارات إذ غدت الأندلس مقصدا لتلك السفارات [٣]، ومنها السفارة الموجهة إلى ملك النورمان من أجل السلم والمهادنة [٤] التي سنأتي إلى تفاصيلها في

(١) مدينة ألمانية غربية تعرف (آخن الألمانية) تقع قرب الحدود البلجيكية الهولندية، كان ملوك الألمان يتوجون فيها، عقد فيها مؤتمر لحل المشاكل الأوربية سنة ١٢٣٤ هـ / ١٨١٨ م للمزيد من التفاصيل ينظر: صالح، محمد محمد وآخرون: تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م)، ص ١٣؛ صلاواتي، ياسين: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، مؤسسة التاريخ العربي، ط ١، (د. م، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م): ١ / ٢٥٨.

(٢) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٧٨.

(٣) الحجي، أندلسيات: ٢ / ٧٠. بالرغم من وجود نشاط دبلوماسي في هذا العهد إلا انه لم يصل إلى القمة التي وصلها النشاط الدبلوماسي في عهد الخلافة الأموية في الأندلس لاسيما في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (الثالث) (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ / ٩١٢ – ٩٦١ م)؛ ولكن هذا النشاط يمكن أن يكون اكبر من الحقبة التي سبقت عهد عبد الرحمن الأوسط.

(٤) عنان، دولة الإسلام، ص ٢٨٤ وينظر: الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٢٣٣؛ العزاوي، اطروحه، ص ١٢٤.

الفصل التالي، وكذلك السفارة التي وصلت إلى قرطبة من ملك الفرنجة إلا أن هناك عدم اتفاق بشأن مكان انطلاقها، فهناك من يرى إنها انطلقت من ملك الفرنجة إلى بلاط عبد الرحمن بن الحكم «الأوسط» (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ – ٨٥٢ م) لإقرار السلام بين الطرفين [١]، وهناك من يرى أنها انطلقت من قرطبة إلى ملك الفرنجة الذي يعرف أذفونش [٢]، ومع هذا فإن انطلاق السفارة دليل على وجود صلات دبلوماسية بين البلدين سواء انطلقت السفارة من أمير الأندلس، أو من ملك الفرنجة.

لقد أشارت إلى هذه السفارة بين أمير الأندلس وملك الفرنجة بعض الكتب المسيحية القديمة وحددت تاريخها (٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م) وهي موجهة من قرطبة إلى ملك الفرنجة لإقرار السلام بين الطرفين [٣].

(١) ابن حيان القرطبي، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، (ويشمل السنوات من ٢٣٢ – ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ – ٨٨٠ م)، تح: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) ص ١٠٣.

(٢) وهو تحريف لاسم لذريق إذ أن المقصود هنا هو ملك فرنسا قارلة Charles المعروف بلقب «الأصلع Le Chauve» ابن لذريق Ludovico المعروف بلقب « الورع Le pieux » ولد في سنة ٨٢٣ م (– ٢٠٨ هـ) وتوفي سنة ٨٧٧ م (– ٢٦٣ هـ) وكان أبوه قد توفي سنة ٨٤٠ م (– ٢٢٥ هـ). وأعقبت وفاته فتنة وحرب أهلية بين أبنائه، وأخيرا تمكن قارله (شارل الأصلع) من تولي الملك في سنة ٨٤٣ م (– ٢٢٨ هـ). ينظر / محمود علي مكي، محقق كتاب / ابن حيان، المقتبس من أنباء، ص ١٠٣ الهامش. وهناك من يذكر أن " أذفونش " هو لقب جار على الملوك، ويبدو لنا أن هذا هو الأقرب إلى الصواب. ينظر / القلقشندي، المصدر السابق: ٥ / ٤٥٤.

(٣) محمود علي مكي، محقق كتاب / ابن حيان، المقتبس من أنباء، ص ١٠٣ الهامش.

أما في زمن الأمير محمد الأول (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦ م) ابن عبد الرحمن الأوسط فقد ظهرت سفارة موجهة من هذا الأمير إلى (أذفنش) الملك النصراني [١]، كان الهدف منها إطلاق سراح وزيره هاشم بن عبد العزيز [٢] وأداء فديته ولكن الأمير محمد لم يرد الإعلان أو التصريح بمكاتبته إلى الملك النصراني وأن يبدو فداء وزيره هاشم من قبل أهله وعشيرته لا من قِبله مباشرة، مع أن أهله لم يكونوا قادرين على دفع الفدية المطلوبة لإطلاق سراح هاشم [٣]. ولعل هدف الأمير من هذه السرية كان نابعا من أنه لم يُرد إظهار الضعف والانكسار أمام الملك النصراني؛ بل أظهر عدم اكتراث للأمر بالرغم من تأثره بما حصل لوزيره، لأن تأثر الأمير لهذا الأمر يسجل ضعفا لا على الأمير حسب وإنما على الإمارة الأموية في الأندلس كلها، أو لعله نابع من أن الأمير أراد غلق الباب أمام الملك النصراني عندما يريد المساومة بأمور أخرى ربما لا

(١) إن الملك النصراني الذي تزامن حكمه مع حكم الأمير محمد هو اردونيو (٢٣٦ - ٢٥٢هـ/ ٨٥٠ - ٨٦٦م) وابنه الفونسو الثالث الذي تسلم العرش بعد وفاة أبيه وحكم أربعا وأربعين سنة ولكن الأرجح أن يكون الفونسو الثالث هو المعني لأن عهده شهد قوة المملكة النصرانية وغزا مدنا إسلامية عدة وشدد الضغط على الأندلس . ينظر : عنان ، دولة الإسلام ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨.

(٢) هو هاشم بن عبد العزيز بن هاشم (ت ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م)، أبو خالد أخو أسلم بن عبد العزيز القاضي . مذكور بفضل وأدب، أصله من موالي عثمان بن عفان (رضي الله عنه) . وللمزيد من التفاصيل ينظر : الحميدي ، المصدر السابق ، ص ٣٢٩ ؛ الضبي ، المصدر السابق ، ص ٤٢٣ ؛ العمايرة ، المرجع السابق ، ص ٦٨ مع بعض الإضافة لما ذكره الضبي والحميدي.

(٣) ابن حيان ، المقتبس من أنباء ، ص ٣٨٦ - ٣٨٧.

تتعلق بالمال حتى إنْ أراد المال كفدية، فتصرف الأمير هذا يجعل الملك النصراني ربما يتردد في زيادة تلك الفدية.

أما الأمير المنذر(٢٧٣ - ٢٧٥ هـ / ٨٨٦ – ٨٨٨ م) ابن محمد الأول ثم أخوه عبد الله (٢٧٥ – ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ – ٩١٢ م) فقد انشغلا بالفتنة التي أصابت الأندلس ومحاولة القضاء عليها و بالغزوات المستمرة، والثورات التي كانت تحصل بين الحين والآخر، فلم يرد ذكر لأي تمثيل دبلوماسي أو سفارات ذات أهمية مثل التي حدثت في عهد عبد الرحمن الأوسط[1]. ويفيد جدول رقم (١) بالسفارات التي انطلقت من الأندلس إلى ممالك أوربا المسيحية الكاثوليكية في عصر الإمارة.

(١) عنان ، دولة الإسلام ، ص ٣١٠ – ٣٤٦.

الفصل الرابع

(سفارة يحيى بن الحكم الغزال إلى ملك النورمان)

المبحث الأول / حياة الغزال في بلاط قرطبة

المبحث الثاني / سفارة الغزال

كانت سفارة يحيى بن الحكم الغزال إلى ملك النورمان [(١)] بسبب حدث شغل قرطبة حينها هو هجوم النورمان. وكان هذا الهجوم قد حدث في أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط فأصاب الناس ما أصابهم من خوف وذعر وكان من نتيجته فرارهم من أمام المهاجمين وأخلاء اشبيلية [(٢)] من أهلها، إذ فروا منها إلى مدينة قرمونة، بينما فرّ آخرون إلى جبال اشبيلية،

(١) النورمان هم شعوب آرية من سكان السويد والنرويج والدنمرك وعرفوا في المصادر العربية بالاردمانيين وعرفوا بالفايكنج Vikings وظهر خطرهم منذ مطلع القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي حيث هددوا دول غرب البحر الأبيض المتوسط. وكان السبب الاقتصادي هو الدافع الرئيس للهجوم على تلك الدول ووصل خطرهم إلى الأندلس في ذي الحجة عام ٢٢٩ هـ / ٨٤٤ م. ينظر: الشرقي، منيرة بنت عبد الرحمن: علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، (الرياض، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م) ص ٤٥.

(٢) مدينة كبيرة في الأندلس كانت قديماً قاعدة ملك الروم واتخذت دار مملكة وهي قريبة من البحر وتقع شرق كورة لبله وغرب قرطبة وتقع على نهر الوادي الكبير. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن غالب، المصدر السابق، ص ٢٣ — ٢٤؛ الحموي، معجم البلدان: ٢ / ١١٩٥؛ ملحق رقم (٣).

وقد تمخض عن ذلك استنفار أهل قرطبة والمدن القريبة منها لأجل صد هذا الهجوم ومواجهته، وراح الوزراء يقودون الناس في تلك المواجهة مع النورمان المجوس [١] في قرطبة والمدن الأخرى المجاورة [٢].

وعن هذا الأمر تحدث أبو الفداء قائلاً: « في سنة ثلاثين ومائتين في هذه السنة خرجت المجوس في أقاصي بلد الأندلس في البحر إلى بلاد المسلمين، وجرى بينهم وبين المسلمين بالأندلس عدة وقائع انهزم فيها المسلمون وساروا يقتلون المسلمين حتى دخلوا حاضر اشبيلية ووافاهم عسكر عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس ثم اجتمع عليهم المسلمون من كل جهة فهزموا المجوس وأخذوا لهم أربعة مراكب بما فيها. وهرب المجوس في مراكبهم متجهين إلى بلادهم»[٣].

ولم تكن هجمات هؤلاء النورمان موجهة ضد الأندلس فحسب؛ بل شملت العديد من الأراضي الأوربية. فقد هجموا على انكلترا وأراضي الدولة الكارولنجية Carolingian وغيرها من مناطق أوربا. وكان شارلمان Charlemagne شديد الاهتمام بإقامة علاقات حسنة مع قادتهم وكانت

---

(١) سموا بالمجوس؛ لأنهم كانوا يعبدون النار وهو دينهم الذي كانوا عليه قبل تنصرهم. ينظر: ابن دحيه، المصدر السابق، ص ١٤٠. أما الدراسات الحديثة فلها رأي مختلف لكثرة استخدامهم للنار، إلا أننا نتفق مع رأي ابن دحيه.

(٢) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٨٤ وينظر: Jose, op , cit , p ٧٨ .

(٣) أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، إصدار دار البحار، (بيروت، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩م): ٣ / ٤٦.

خطتهم بالهجوم تتركز في الاستيلاء على ميناء، أو نهر صالح للملاحة ومنه ينطلقون من اجل السرقة وعلى هذا الأساس كانوا يعدون المناطق التي استولوا عليها مناطق انطلاق للإغارة والهجوم على المناطق أو البلاد المجاورة. لقد كانت هجمات هؤلاء النورمان الدنمركيين من اجل السرقة كما ذكرَ من قبل أكثر مما كانت من أجل الاستيلاء على أرض يستقرون بها، إلا أنه في عام ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م جاء الدنمركيون بجيش أكثر تنظيماً ليسرقوا بشكل أكبر [١].

يبدو مما تقدم أن العمل الاقتصادي كان دافعاً مهماً دفع بالنورمان إلى هجماتهم تلك. ولكن لابد من أن تكون هناك دوافع أخرى شجعت هؤلاء في هجومهم على الأندلس وغيرها من البلدان، وقد أشار عنان إلى ذلك بالفعل في كتابه (دولة الإسلام في الأندلس) فذكر أن ندرة الموارد والثروات وصعوبة العيش فضلاً عن حب المغامرة كان يدفع بهم دوماً إلى عرض البحر الأمر الذي يجعلهم خطراً متواصلاً على الشواطئ القريبة والثغور المجاورة [٢]. وبالرغم من الخسائر الكبيرة التي منيت بها الأندلس، وما تعرضت له المناطق التي أصابها الضرر في بداية هجوم النورمان، كانت النتيجة النهائية في صالح قرطبة بعد قتال شديد أجبر

---

(١)

E. L. Wood Ward: A History of England , Methuen – Coltd , (London , ١٩٦٢) P. ١٦ – ١٧.

(٢) دولة الإسلام، ص ٢٦٢.

الغزاة على التراجع بعد أنْ تكبدوا ألف قتيلٍ وأسرٍ للكثيرين منهم فضلاً عن قتل قائدهم[(١)].

ومن النتائج الأخرى لهجوم النورمان، بناء سور اشبيلية وتحصينها إذ تزامن ذلك مع التوسع في جامع قرطبة، إلا أن بناء السور لم يثن من عزيمة الأمير عبد الرحمن بن الحكم في بناء المزيد، والتوسع في الجامع حتى كملا معاً. كما أن هناك نتيجة أخرى تضاف لما تقدم من نتائج تمخضت عن ذلك الهجوم، تتمثل في نمو البحرية الأندلسية إذ ازداد عدد الدور المخصصة لصناعة السفن، وقد ظهرت قدرة هذه البحرية في صد هجوم النورمان الثاني على الأندلس سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م[(٢)].

ومن النتائج الأخرى لهذا الهجوم تبادل للسفارات بين النورمان و العرب المسلمين في الأندلس[(٣)]. وقد وصل رسل، أو سفراء ملك النورمان (المجوس) إلى قرطبة تطلب الصلح[(٤)] وهو على ما سيرد ذكره في مكانه من هذه الدراسة.

---

(١) ابن عذارى، المصدر السابق: ٢ / ٨٧ – ٨٨ وينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٢٦٣.

(٢) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ وينظر: النجار، جعفر عبد الرزاق زامل: الإمارة الأموية في الأندلس ٢٠٦ – ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ – ٨٥٢م دراسة سياسية، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة بغداد – كلية الآداب، (بغداد، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م)، ص ٩٨.

(٣) Jose, op , cit , p. ٧٩.

(٤) ابن دحيه، المصدر السابق، ص ١٣٨ وينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٢٦٤.

حياة الغزال في بلاط قرطبة

الحكم الغزال هو أبو زكريا يحيى بن الحكم البكري الجيّاني[١] «كان كثير القول مطبوع النظم في الحِكم والجد والهزل وهو مع ذلك جليل في نفسه وعلمه ومنزلته عند أمراء بلده...»[٢] وقد لقب بالغزال لجماله إذ كان جميلا في صباه ولاسيما في كهولته[٣]. وقد لقبه الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ / ٨٢١ – ٨٥٢ م) بلقب الغزال عندما دخل عليه ذات مرة فقال له « جاء الغزال بحسنه وجماله » فأجابه الغزال بأبيات شعر قائلاً:

قالَ الأميرُ مُداعباً بِمَقالِهِ ... جاءَ الغَزَالُ بحسِنهِ وَجَمالِهِ
أينَ الجَمالُ من امرِئٍ أربَى عَلى ... مُتَعِدِ السبعِينَ من أحوالِهِ
وهَلِ الجَمالُ لهُ؟ الجَمالُ مِنْ امرِئٍ ... ألقاهُ رَيْبُ الدهْرَ في أغلالـه

(١) نسبة إلى مدينة جيان التي لها كور واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف شرق قرطبة بمسافة سبعة عشر فرسخا وتقع بين غرناطة وطليطلة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢ /١٩٥ – ١٩٦؛ القلقشندي، المصدر السابق: ٥ / ٢٢١ – ٢٢٢.

(٢) الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٣٦. وينظر: سلامه، المرجع السابق، ص ٢٤٥؛ العدوي، المرجع السابق، ص ١١٣.

(٣) سزكين، فؤاد: تأريخ التراث العربي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، تر: عرفه مصطفى، (الرياض، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م): ٥ / ٤٠؛ الأوسي، حكمة علي: فصول في الأدب الأندلسي من القرنين الثاني والثالث للهجرة، مكتبة الخانجي بمصر، ط٣، (بغداد، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٧م) ص ١١١٩ مفلح، مجلة التراث العربي، ص ١٢٩.

وأعَادَهُ من بَعْدِ جِدّتِهِ بِلَمو أحالَ رَوْنَقَ وَجهِهِ عن حالِهِ[(١)]

لقد كان الغزال يتصف بالظرف، وخفة الروح، فضلاً عن الحكمة[(٢)]، وكان شاعراً متمكناً من شعره ويتمتع بمقدرة عالية في التعبير وذا بديهة تتصف بالسرعة وذا خاطر حاد فضلاً عن مراسه بأساليب الكلام[(٣)]، وكان ذا ثقافة عالية كيف لا وهو الذي درس وحفظ الكثير من فنون الأدب ونصوصه[(٤)]. لقد كان الحكم الغزال يجمع بين جمال الخلقة وحسن الخلق وقد وصف بأنه يمتاز بحدة الخاطر وبديهة الرأي والنجدة والإقدام والحنكة السياسية وحسن الجوار والثقافة المتنوعة؛ فضلاً عن معرفته لعلم النجوم وكان قليل المال، مهملاً في الأمور المادية وكان نهازاً للفرص للحصول على المال ومقبلا على اللهو والمجون في مقتبل حياته ثم ما لبث أن تاب وتنسك حين تقدمت به السن فزهد في الحياة الدنيا عملاً وقولاً[(٥)]. يبدو مما تقدم إن لهذه الصفات الحسنة التي يتمتع

(١) ابن عذارى، المصدر السابق: ٢ / ٩٣. وينظر: الحجي، أندلسيات: ١ / ٧٢؛ سلامه، المرجع السابق، ص ٢٥١.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق: ٤ / ١٥٦ وينظر: المقري، المصدر السابق: ٣ / ١٢١؛ البرقوقي، عبد الرحمن: حضارة العرب في الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، (بور سعيد، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) ص ١١٨.

(٣) الأوسي، المرجع السابق، ص ١١٩. ومما قيل في شعره بأنه تارة من الهام روحاني وأخرى هجائي سليط. ينظر: بروفنسال، ليفي: حضارة العرب في الأندلس، دار مكتبة الحياة، تر: ذوقان قرقوط، (بيروت. د. ت) ص ٥٢.

(٤) سلامة، المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٥) ابن دحيه، المصدر السابق، ص ١٣٩ وما بعدها.

بها يحيى بن الحكم الغزال كبير الأثر في اختياره سفيراً للأمير عبد الرحمن الأوسط.

عاصر يحيى بن الحكم الغزال عدداً من الأمراء الأمويين في الأندلس إذ بلغ عددهم خمسة أمراء وهم كل من:

أولا / عبد الرحمن الداخل (١٣٨ – ١٧٢ هـ / ٧٥٥ – ٧٨٨ م).

ثانيا / هشام بن عبد الرحمن (١٧٢ -١٨٠ هـ / ٧٨٨ – ٧٩٦ م).

ثالثا / الحكم الأول " ألربضي " (١٨٠ – ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ – ٨٢١ م).

رابعا / عبد الرحمن الثاني " الأوسط " (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ / ٨٢١ – ٨٥٢ م).

خامسا / محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ – ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ – ٨٨٦ م).

وفي ذلك يقول في أرجوزته التاريخية:

أدركتُ بالمِصرَ ملوكاً أربعةو　　خامساً هذا الذي نحن معه (١)

(١) المقري، المصدر السابق: ٣ / ٢٢ وينظر: عباس، إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة، ط٢، (بيروت، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م)، ص ١٥٧؛ الأوسي، المرجع السابق، ص١٢٥؛ أبو فلاقة، سعد: مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ع / ٣٩٩، السنة الرابعة والثلاثون، تموز ٢٠٠٤ م، ص ٣٧.

وإذا عدنا إلى شعره فإن المتتبع لأشعار يحيى بن الحكم الغزال يرى بكل وضوح صفة شخصية له هي الواقعية التعبيرية. فهو لا يسير على ما سار عليه الشعراء المشارقة فترة ما، وهو ما يسمى بين علماء البيان بحسن التعليل (١).

إن الأبيات الشعرية التالية للحكم الغزال توضح واقعيته التي أبرزت حقيقة إنسانية عاش تجربتها الشاعر، وإن كان فيها نوع من الإطلاق والتعميم، وهذا يبعد الشاعر عن الصواب ويجعله أسير الماضي ففي هذه الأبيات يقول:

يا راجياً وُدَّ الغَواني ضـلةً ... ففؤادُه كَلَفٌ بهنَ مُوَكَّـلُ
لا تكلَفن بوصـلِهن فإنما الـ ... كَـلِفُ المحبُ لَهن من لا يَعقل
أن النساءَ لكالسُروجِ حقيقـةً ... فالسرجُ سرجُك ريثما لا تـنزل
فإذا نزلـتَ فان غَـيرك نازلٌ ... ذاكَ المكـانَ وفاعلٌ ما تَفعـلُ
أوْ منزلَ المجتازِ أصبح غادِياً ... عنه ويـنزلُ بعده من ينـزل
أو كالثمارِ مُباحةٌ أغـصانُـها ... تدنُو لأوَلِ من يمـرُ فتؤكل (٢)

لقد كان من الحوادث ذات التأثير في حياة الحكم الغزال ما ذكر عن قدوم المغني زرياب إلى عبد الرحمن الأوسط في قرطبة، وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون: في سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م قدم من العراق إلى الأندلس

(١) الأوسي، المرجع السابق، ص ١٢٢.

(٢) ابن دحيه، المصدر السابق، ص ١٤٦ – ١٤٧ وينظر: الأوسي، المرجع السابق، ص ١٢٣ – ١٢٤.

المغنـي الملقـب بـ زرآب [١] مـولى المهـدي العباسـي ومعلـم إبـراهيم الموصلي، واسمه الحقيقي علي بن نافع فاستقبله خير استقبال وبالغ في إكرامه، وأقام عند الأمير على خير مقام وأحسن حال. وكان مؤسس صناعة الغناء بالأندلس، وجاء من بعده ولده الأكبر عبد الرحمن على طريقة أبيه وصنعته [٢]. وفي أحد الأيام هجا الغزال هذا القادم من العراق «زرياب» فغضب الأمير على الحكم الغزال لذلك الهجاء فأمر بنفي الغزال عن الأندلس؛ ولكن رجالات الدولة التمسوا لدى الأمير حتى تركه، إلا أن الغزال ضاق به المقام في الأندلس الأمر الذي جعله يرحل إلى العراق إذ أقام هناك مدة ثم راح يتجول في الشرق، إلا أن الغربة أتعبته فراح يحن إلى موطنه ومسقط رأسه. فرجع إلى الأندلس [٣]. ومن الحوادث المهمة في حياة الغزال، حادثة قبض الأعشار التي أدت إلى سجنه. وسبب تلك الحادثة ان الأمير عبد الرحمن الأوسط «كان ولاّه

(١) بعض المصادر تطلق عليه زرياب. ينظر: المقري، المصدر السابق: ١ / ٣٢٢.

(٢) المصدر السابق: ٤ / ١٥٣ وينظر: المقري، المصدر السابق: ١ / ٣٢٢. هناك من يقول ان الأمير عبد الرحمن الأوسط أمر فتى من كبار فتيان بلاطه أن يتلقاه أحسن لقاء وخصص له مائتي دينار راتباً ولكل من بنيه الذين قدموا معه عشرين دينارا. وللمزيد من التفاصيل ينظر: سالم، عبد العزيز: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية، (بيروت، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م): ٢ / ٨٨ – ٨٩.

(٣) ابن دحيه، المصدر السابق، ص ١٤٧ – ١٤٩ وينظر: الأوسي، المرجع السابق، ١١٢٥ زمامة، عبد القادر: مجلة المناهل، يحيى بن حكم البكري الغزال، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط – المغرب، ع/ ٤، السنة ٢، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م، ص ١٥٤ – ١٥٥.

قبض الأعشار ببلاط مروان واختزانها في الأهراء[١]. وكان توسل إليه بمديح مدحه به، فنفق الطعام في ذلك العام، وسما / السعر بالقحط سمواً كثيرا، فوضع يده في البيع حتى أتى على ما كان عنده في الأهراء. ثم أنه نزل الغيث ورخص الطعام، فأعلم السلطان بما صنع الغزال من البيع، فأنكره وقال: إنما تعد الأعشار لنفقات الجند والحاجة إليها في الجهد، فماذا صنع الخبيث ! خذوه بأداء ما باع من أثمانها واشتروا به طعاما، واصرفوه [اجعلوه] في الأهراء إلى وقت الحاجة إليه. فلما طلب منه ثمن ما باع أبى من ذلك وقال: إنما أشتري لكم من الطعام عدد ما بعت من الأمداد، وبين العددين بون كثير نحو من ثلاثين ألفا. فأعلم السلطان بامتناعه من الأداء، وبما ذهب إليه من شراء مثل ما باع. فأمر بسجنه وحمله إليه في الكبل [القيد]، فسيق منها إلى قرطبة، وسجن بها فصنع هذا القصيد»[٢]. وفيه يقول:

إن تُرد المالَ فإني امرؤٌ ... لم أجمع المالَ ولم أكْسبِ
إذا أخذتَ الحق مني فلا ... تَلتَمس الربح ولا تَرغَبْ
قد أحسنَ اللهُ إلينا معاً ... إن كان رأس المال لم يذهب

(١) جمع هري وهو بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام الأمير. ينظر: إبراهيم الأبياري وآخرون، محققي كتاب، ابن دحية، المصدر السابق، ص ١٣٦ الهامش.

(٢) ابن دحيه، المصدر السابق، ص ١٣٦.

فلما قرأ شعره أعجب به الأمير عبد الرحمن الأوسط، ومن كان بمجلسه، وقال بعضهم للأمير أنصفك الغزال ببيت شعره الثالث، فما كان من الأمير إلا أن أمر بإطلاقه[١].

أما القول بأن الغزال كان رحّالة[٢] يتطلب قيامه برحلات عدة، سواء لقصد الرحلة نفسها، أم لجمع العلوم من الأماكن الأخرى فليس دقيقاً، ذلك أن رحلاته – مع قيامه برحلاتٍ عدة – كانت أما لأداء مهمات دبلوماسية، كما رحل إلى بلاد النورمان، أو متعلقة بأمور تتعلق به شخصياً، كما ذكرنا بشأن رحلته إلى بغداد والأسباب التي تقف من ورائها.

سفارة الغزال

تحدثنا آنفاً عن هجوم النورمان على الأندلس، ووصول سفارة دانماركية إلى قرطبة إذ«وفد على السلطان عبد الرحمن رسل ملك المجوس تطلب الصلح بعد خروجهم من اشبيلية، وإيقاعهم بجهاتها ثم هزيمتهم بها، وقتل قائد الأسطول فيها، رأى أن يراجعهم بقبول ذلك، فأمر الغزال أن يمشي في رسالته مع رسل ملكهم، لما كان الغزال عليه من حدة الخاطر، وبديهة الرأي، وحسن الجواب والنجدة والإقدام والدخول

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٢) العظمة، عزيز: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: ١ / ٤٠١.

والخروج من كل باب، وصحبته يحيى ابن حبيب، فنهض إلى مدينة شلب [١]، وقد أنشئ / لهما مركب حسن كامل الآلة، وروجع ملك المجوس على رسالته وكوفئ على هديته، ومشى رسول ملكهم في مركبهم الذي جاءوا فيه مع مركب الغزال....»[٢]. لقد سار الركب في المحيط الأطلسي - البحر المحيط - وعندما توغلوا في هذا البحر الكبير ووصلوا إلى الطرف الأعظم الداخل في البحر الذي يعد حد الأندلس في نهاية الغرب، هاج البحر عليهم وتولتهم ريح شديدة وصفها الغزال بقوله[٣]:

قال لي يحَيى وصِرنا بَين موج كالجبالِ

وتولتنا رياحٌ من دَبُور وشمالِ

شَقَت القِلعَين وانبَتتْ عُرا تلك الحِبال

وتَمطَى ملك الموت إلينا عن حِيال

(١) شلب Silves بكسر أوله وسكون ثانيه إحدى مدن غرب الأندلس وهي بلدة قديمة تقع في جنوب غربي البرتغال على مقربة من المحيط الأطلنطي بقبلي مدينة باجة ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص ١٠٦ – ١٠٨؛ الحموي، معجم البلدان: ١٢ / ٣٥٧ – ٣٥٨؛ عنان، دولة الإسلام، ص ٢٨٤؛ الملحق رقم (٣).

(٢) ابن دحيه،المصدر السابق، ص١٣٨ – ١٣٩ وينظر: الحجي،التاريخ الأندلسي، ص ٢٣٣ – ٢٣٤؛

Lewis , The Muslim Discovery of Europe , Weidenfeld & Nicolson , (No.Pl , ١٩٨١) , P. ٩٣

(٣) ابن دحيه، المصدر السابق، ص ١٣٩ وينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٢٨٤؛ العدوي، المرجع السابق، ص ١١٤ لقد حدد العدوي هذا البحر ببحر المانش.

فرأينا الموت رأي العين حالاً بعد حالِ

لم يكن للقومِ فينا يا رفيقي رأسُ مال [١]

وبعد أن نجا الغزال ومن معه من أهوال البحر وصلوا إلى أول بلاد المجوس وهي جزيرة من جُزُر هناك فمكثوا فيها عدداً من الأيام وقاموا بإصلاح مراكبهم، ثم تقدم مركب المجوس لإبلاغ ملكهم بقدوم الرسل معهم، فسُر ملك المجوس لقدوم الرسل، وطلبهم إلى حيث كان يسكن في إحدى الجزر الكبيرة [٢]. وعندما وصلوا إلى الجزيرة مستقر الملك، أمر لهم بمنزل يسكنون فيه بعد أن أخرج إليهم من يستقبلهم، وقد احتفل المجوس بقدوم السفراء العرب، وعاملوهم باحترام وقد عجبوا من أزياء

---

(١) ابن دحيه، المصدر السابق، ص ١٣٩ وينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص ٣٣٨؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٤٣٦، مع بعض الاختلاف ينظر: المقري، المصدر السابق: ٣ / ٢٦؛ الحجي، أندلسيات: ١ / ٦٩.

(٢) وصف الغزال جزيرة ملك النورمان (هوريك Horic) سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م بأنها (عظيمة في البحر المحيط، فيها مياه مطردة، وجنات، وبينها وبين البر ثلاثة مجار، وهي ثلاثمائة ميل، وفيها من المجوس ما لا يحصى عددهم، وتقرب من تلك الجزيرة جزائر كثيرة منها صغار وكبار وأهلها كلهم مجوس، وما يليهم من البر أيضا مسيرة أيام، وهم مجوس، وهم اليوم على دين النصرانية، وقد تركوا عبادة النار ودينهم الذي كانوا عليه، ورجعوا نصارى إلا أهل جزر متقطعة لهم في البحر، هم على دينهم الأول من عبادة النار، ونكاح الأم والأخت وغير ذلك من الشنار، وهؤلاء يقاتلونهم ويسبونهم) ينظر: ابن دحية، المصدر السابق، ص ١٤٠ – ١٤١؛ حميدة، عبد الرحمن: أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، (دمشق، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ص ١٣٨.

العرب وأشكالهم، ثم استدعاهم الملك بعد يومين للمثول بين يديه[١]. لقد كان الغزال قد اشترط على الملك ألا يركع أو يسجد[٢] له ولا يفرض عليهم ما هو خارج مبادئهم الإسلامية التي اعتادوا عليها فما كان من الملك إلا أن أجابهما إلى ما طلبوا، وعندما توجها إليه جلس لهما في أحسن هيئة، وأمر بتضييق المدخل الذي يؤدي إليه والغرض من ذلك هو حتى لا يدخل عليه أحد إلا راكعاً، وعندما وصل الغزال إلى المدخل جلس على الأرض وقدم رجليه وزحف على إليته، وعندما تجاوز المدخل استوى واقفاً[٣].

يتضح من خلال شرط الغزال بعدم السجود للملك أن العادة المتبعة عند النورمان هي تعظيم الملك من خلال الركوع أو السجود بحضرته، ولأنَ السفير يحيى بن حكم الغزال مسلم وقادم من دولة إسلامية وممثل عنها، فقد التزم بموقفه هذا بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف التي تحتم على المسلم أن لا يسجد إلا لله وبذلك أعطى صورة واضحة عن الإسلام الذي يعد الناس كافة سواسية مثل أسنان المشط. لقد استعد ملك النورمان للاحتفال بالسفراء فأظهر السلاح والزينة الكاملة، فلم يهتم

---

(١) ابن دحية، المصدر السابق، ص ١٤١ وينظر:عنان، دولة الإسلام، ص ٢٨٤؛ بو فلاقة، مجلة الموقف الأدبي، ص٣٩.

(٢) بالرغم من الاختلاف في تسمية ووضع السجود والركوع يبدو أن الهدف المقصود هنا هو التعظيم للملك.

(٣) ابن دحية، المصدر السابق، ص١٤١ وينظر: حميدة، المرجع السابق، ص ١٣٨؛ مفلح، مجلة التراث العربي، ص١٣٤.

الغزال لذلك وما هالهُ ما رأى وإنما ارتجل قائلاً: «السلام عليك أيها الملك وعلى من ضمه مشهدك، والتحية الكريمة لك، ولا زلت تمتع بالعز والبقاء والكرامة الماضية بك إلى شرف الدنيا والآخرة المتصلة بالدوام في جوار الحي القيوم، الذي كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه المرجع»[١] ثم قام الترجمان بترجمة كلام السفير يحيى بن الحكم الغزال للملك فانبهر به واستعظمه ووصف الغزال بأنه حكيم وداهية وقد أعجب الملك من الطريقة التي تعامل بها الغزال معهم عندما أرادوا إذلاله وإدخاله راكعاً حيث جلس على الأرض وقدم رجليه في الدخول وبهذا قابل وجوههم بنعليه وقال الملك «لولا أنه رسول لأنكرنا ذلك عليه»[٢] ثم قدم الغزال كتاب الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ – ٨٥٢ م) إلى الملك. وقد قرأ الملك كتاب الأمير عبد الرحمن الأوسط وسُرّ به ووضعه في حجره وتسلم كذلك هدية الأمير فأعجب بها وقد اشتملت على ثياب وأواني[٣].

يبدو مما تقدم إن مراسم الاستقبال للسفراء كانت مهيبة ومعبرة من خلال عظمة الاحتفال وإظهار الزينة، فضلا على الاحترام لشخوص الوفد القادم وتقديم الهدايا لهم والالتزام بالعرف الدبلوماسي من خلال

(١) ابن دحية، المصدر السابق، ص ١٤١ وينظر: حميدة، المرجع السابق، ص ١٣٨ مع نقص في بعض الكلمات عما ذكره ابن دحية.

(٢) ابن دحية، المصدر نفسه، ص. ن.

(٣) المصدر نفسه، ص. ن.

التمسك بما يتمتع به السفير من حصانة، وهذا ما عبّر عنه الملك عندما دخل عليه الغزال وقابل وجوههم بنعليه حين قال: لولا انه رسول لأنكرنا ذلك عليه. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مستوى عال من الدبلوماسية عند النورمان عندما التزموا بما للسفير من حصانة.

لقد كان للسفير يحيى بن الحكم الغزال «مجالس مذكورة، ومقاوم مشهورة، في بعضها جادل علماءهم فبكّتهم[1]، وفي بعضها ناضل شجعانهم فأثبتهم»[2]. وعندما سمعتْ زوج ملك النورمان بذكر الغزال دعته لتراه وقد لبى الدعوة، وعندما دخل عليها سلم ثم أطال النظر فيها متعجباً، فقالت الملكة لترجمانها «سله عن إدمان نظره لماذا هو ؟ [؟] ألفرط استحسان أم لضد ذلك ؟ فقال: ما هو إلا أني لم أتوهم أن في العالم منظرا مثل هذا، وقد رأيت عند ملكنا نساء انتخبن له من جميع الأمم فلم أر فيهن / حسنا يشبه هذا. فقالت لترجمانها: سله أمُجدٌّ هو أم هازل ؟ [؟] فقال: لا، بل مُجد. فقالت له: فليس في بلدهم إذاً جمال ! فقال الغزال: فاعرضوا علي من نسائكم حتى أقيسها بها. فوجهت الملكة في نساء معلومات الجمال فحضرن، فصعد فيهن وصوّب ثم قال: فيهن جمال وليس كجمال الملكة، لأن الحسن الذي لها والصفات المناسبة ليس يميزه كل أحد....»[3].

---

(١) تعني غلبهم. ينظر: الرازي، المصدر السابق، ص ٦١.

(٢) ابن دحية، المصدر السابق، ص ١٤٢.

(٣) ابن دحية، المصدر السابق، ص ١٤٢ وينظر: حميدة، المرجع السابق، ص ١٣٩.

إنَ اللقاء الذي تم للغزال مع الملكة وإعجابه المفرط بجمالها يجعلنا أمام موقفين، الأول / عدم اكتراثه، واهتمامه بالاحتفال ومظاهر الزينة التي ظهرت عند مثوله بين يدي الملك والتزامه بتعاليم الدين الإسلامي من خلال اشتراطه عدم السجود أو الركوع للملك. والموقف الآخر / إعجابه بجمال الملكة، وتصريحه المفرط بهذا الإعجاب. إن هذين الموقفين متناقضان فالأول كان منسجما مع ما يجب أن يفعله السفير في تلك المواقف فلا ينبهر بما يرى وكذلك في عدم سجوده للملك، فكان تصرفه في الموقفين حسناً وينسجم مع كونه سفيراً مسلماً.أما الآخر فكان تصرف لا ينسجم مع الصفات التي يجب أنْ يتحلى بها السفير خاصة وهو سفير دولة إسلامية وقد جاء لأجل مهمة محددة، ولكن ربما يتبادر للذهن أن فعله هذا مع الملكة من الدهاء إذ أراد من خلاله التقرب منها حتى يوظفها لخدمته وتسهيل المهمة التي أنيطت به. لكن هذا خروج على الآداب الدبلوماسية حتى إنْ كان ما يقصده هو التقرب، فلا يمكن أنْ يكون هذا الأمر على حساب دينه؛ لأنه مسلم وسفير دولة مسلمة لا ترتضي لمثل هذا التصرف أن يصدر من مسلم فما بالك إن صدر من مسلم وسفير في الوقت نفسه !. وعلى أية حال طلب الغزال من الملكة أن تسمح له بوصف جمالها شعراً، وقد سرّت الملكة لهذا كثيراً، ثم أمرت له بهدية إلاّ أنه رفض أخذها، وقد استفسرت الملكة عن سبب الرفض هل هو احتقار للهدية أم لها ؟ فقام الترجمان بسؤال الغزال عن

ذلك إذ أجاب بأن هديتها جزيلة وتقبلها شرف لأنها من ملكة بنت ملك وإنما أراد أنْ تكون صلتة الوصول إليها دائما [١]، وهذا ما ذهبنا إليه آنفاً.

لقد أعجب هذا الرد الملكة، وسُرَت به وأمرت أن تحمل الهدية إليه وأن يأتي لزيارتها متى شاء وعلى الرحب والسعة. وقد شكرها الغزال، ثم انصرف [٢]. لقد تحدث الغزال عما جرى له في جلساته مع الملكة إلى صديق له يدعى «تمام بن علقمة»[٣] الذي أخبر به أحد أصحابه [٤] قائلاً: «أولعت زوجة ملك المجوس بالغزال فكانت لا تصبر عنه يوما حتى توجه فيه، ويقيم عندها يحدثها بسيَر المسلمين وأخبارهم وبلادهم، وبمن يجاورهم من الأمم. فقلما انصرف يوما قط من عندها إلا اتبعته هدية تلطفه بها، من ثياب أو طعام أو طيب،حتى شاع خبره معها، وأنكره

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٢ – ١٤٣.

(٢) ابن دحية، المصدر السابق، ص ١٤١ – ١٤٢ وينظر: حميدة، المرجع السابق، ص ١٣٩ – ١٤٠.

(٣) هو تمام بن عامر بن علقمة (١٨٤ – ٢٨٣ هـ / ٨٠١ – ٨٩٦ م) هو عالم وأديب وله أرجوزة في ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولاتها والخلفاء فيها ووصف حروبها من وقت دخول طارق بن زياد إلى أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم. ينظر: بالنثيا، آنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية،(القاهرة، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م)، ص ٥٦ – ٥٧. وهو أيضاً مؤرخ عاصر الغزال ونقل عنه ابن دحية في مطربه. ينظر:
http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=٨٢٩٨٦.

(٤) Lewis , op , cit , p. ٩٣.

أصحابه [١]، وحذر منه الغزال، فحذر وأغب زيارتها. فباحثته عن ذلك، فقال لها ما حذر منه. فضحكت، وقالت له: ليس في ديننا نحن هذا، ولا عندنا غيرة، ولا نساؤنا مع رجالنا إلا باختيارهن، تقيم المرأة معه ما أحبت، وتفارقه إذا كرهت. وأما عادة المجوس قبل أن يصل إليهم دين رومة، فألا يمتنع أحد من النساء على أحد من الرجال، إلا أن يصحب / الشريفة الوضيع، فتعيّر بذلك، ويحجره عليها أهلها. فلما سمع ذلك الغزال من قولها أنس إليه وعاد إلى استرساله»[٢].

لقد قال تمام بن علقمة: بأنه سمع يحيى الغزال يتحدث عن جمال الملكة، فقال له: وهل كان فيها من الجمال المفرط كما صورته فقال: وأبيك، لقد كان فيها جمال، ولكن أردت من هذا محبتها، ونلت منها أكثر مما أردت [٣].

يتضح من ذلك أن مآرب أخرى كانت للغزال من خلال إظهار إعجابه بالملكة، والتغزل بها، حيث أخذ منها أكثر مما أراد ولربما كان هدفه الحصول على هدايا، وما شابه ذلك أو لربما وقع في الخطأ معها !؟ وهذا الأمر لا ينسجم معه كسفير الأمر الذي جعل من كان معه يحذره من عواقب تلك التصرفات.

---

(١) يبدو أن عدد أفراد السفارة أكثر من اثنين، ولكن لم يورد ابن دحية في مطربه إشارة واضحة عن عددهم أو أسمائهم.

(٢) ابن دحية، المصدر السابق، ص ١٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص. ن. وينظر: عباس، المرجع السابق، ص ١٦٣.

لقد ذكر تمام بن علقمة أن الغزال عندما أرسل إلى بلاد المجوس كان عمره خمسين سنة إلا أنه كان وسيماً رغم كهولته،والشيب أخذ منه كل مأخذ، وقد سألته زوج الملك التي كان اسمها "نود" عن عمره فقال لها بدعابته المعهودة: عشرون سنة. فطلبت من الترجمان أنْ يسأله من كان في العشرين أيكون به هذا الشيب ؟ فأجاب: وما في ذلك ؟ ألم تري قط مهرا ينتج وهو أشهب ؟ فضحكت الملكة نود وأعجبت بما قال وأمرته بالخضاب. وراح ينشد ويقول[1]:

كُلِّفْتَ يا قلبي هَوىً متعبا غالبت منه الضَيغَم الأغلبا
إنّي تعلقَتُ مَجُوسِيةً تأبى لشمس الحسن أنْ تغربا
أقصى بلاد الله في حيثُ لا يَلفي إليهِ ذاهبٌ مذهبا
يا نُود يا رُودَ[2] الشباب التي تُطلِعُ من أزرارها الكوكَبا
قلت لها يا بأبي إنَه قد يُنتَجُ المهر كَذَا أشهَبا
فاستضحكَت عُجْباً بقولي لها وإنما قُلت لكي تَعجبا

---

(١) ابن دحية، المصدر السابق، ص ١٤٣ – ١٤٤ وينظر: المقري، المصدر السابق، ٣ / ٢٤؛ حمودة، علي محمد: تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، دار الكتاب العربي، ط١، (مصر، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م) ص ١٦٣؛ البرقوقي، المرجع السابق، ص ١١٩.

(٢) حذفت همزة الواو تخفيفا. بعض المراجع تسميها ورد الشباب في حين هي رؤد الشباب وهي الجارية الناعمة الجسم والغصن الرؤد هو الرطب والشعراء يسهلون الهمزة منه تخفيفا فلا يكادون ينطقون بها كما أوردها ابن دحية في مطربه ص ١٤٤، أما تسميتها " ورد " فلعل مرد ذلك ربما يعود إلى خطأ طباعي، ومن المراجع التي سمتها ورد مثلا: البرقوقي، المرجع السابق، ص ١١٩؛ مفلح، مجلة التراث العربي، ص ١٣٤.

وبعد أن انصرف عن الملكة نود تخضب وغدا إليها يوماً فمدحت خضابه، وفي ذلك يقول(١):

بكَرتَ تحسنُ لي سوادَ خِضابي فكأنْ ذا أعادني لشبابي
ما الشيبُ عندي والخضابُ لواصِفٍ إلا كَشمس جُلِلت بضَباب
تخفى قليلا ثم يَقشَعها الصَبا فيصيرُ ما سُترتَ به للذَهاب
لا تُنكري وَضح المَشيب فإنما هو زهرةُ الأفهام والألْباب
فلديَ ما تَهوين من شأن الصَبا وطلاوة الأخلاق والآداب(٢)

لقد استمرت رحلة الغزال عشرين شهراً ثم قفل راجعاً إلى الأندلس عن طريق مدينة (شنت ياقب)(٣) وقد حصل من رحلته هذه على معلومات عن الشعوب الشمالية وأحوالها العامة(٤)، وكان ملك النورمان

---

(١) ابن دحية، المصدر السابق، ص ١٤٤، ١٤٦ وينظر: المقري، المصدر السابق: ٣ / ٢٤ – ٢٥.

(٢) ابن دحية، المصدر السابق، ص ١٤٦ وينظر: المقري، المصدر السابق: ٣ / ٢٥.

(٣) وهي مدينة اكتشف فيها قبر القديس ياقب الذي هو القديس يعقوب أو يعقوب الحواري الذي اندرس قبره حتى سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٥ م عندما زعم القس تيودمير أسقف إيريا أنه اكتشف القبر عندما هداه إليه ضوء نجم. ثم بنيت عليه قبة وأصبح مزاراً وبنيت حوله مدينة عرفت بشنت ياقب Santiago de Compostela المقدسة في أقصى جليقية. وللمزيد من التفاصيل ينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٢٢٠ – ٢٢١؛ كاسترو، أمريكو: أسبانيا في تاريخها، المجلس الأعلى للثقافة، تر: على إبراهيم منوفي، مر: حامد أبو أحمد، ط ١، (القاهرة، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م)، ص ١٢٩ وما بعدها.

(٤) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين، دار العلم، ط ١٠، (بيروت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م) ص ٢٩١.

المجوس قد أرسل معه كتاباً أو رسالة إلى صاحب شنت ياقب راميرو الأول Ramiro I المتوفى سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥٠م لتسهيل طريق المرور عبر أراضيهم وبالفعل تم ذلك وتوجه أعضاء السفارة إلى قشتاله Castele [(١)]، ثم طليطلة Toledo [(٢)] فمدينة قرطبة Cordoba.

من خلال ما تقدم يمكن أن نصل إلى حقيقة تتمثل بوجود علاقات دبلوماسية بين بلاد النورمان ومدينة شنت ياقب وهذا يعطينا صورة على ما تتمتع به هذه المدينة من شبه استقلال إن لم يكن استقلالاً كاملاً، وأن أدلَ شيء على هذا علاقات هذه المدينة مع بلاد النورمان؛ لأن الدولة التي لديها علاقات دبلوماسية مع البلاد الأخرى لا بد أنْ تكون مستقلة، أو لديها استقلال شبه كامل. إن سفارة يحيى بن حكم الغزال نجحت في المنظور القريب وفشلت في المنظور البعيد ففي الأول أسفرت عن إحلال السلام مع النورمان في أيام ملكهم (هيوريك أو هوريك Horic). وفي المنظور البعيد فشلت في منع النورمان من معاودة هجومهم على الأندلس فبعد وفاة ملكهم المذكور آنفاً شنوا هجوماً ثانياً سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م

(١) عمل من الأعمال الأندلسية قاعدته قشتالة سمي العمل بها، وقالوا ما خلف جبل الشارات في جهة الجنوب يسمى اشبانيا وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص ١٦١.

(٢) كانت قاعدة ملوك القوط ومطلة على نهر تاجه وهي من المدن القديمة ويعتقد أنها بنيت في زمن الإغريق وتقع في وسط أسبانيا، كان العرب يطلقون عليها مدينة الأملاك لأنها كانت دار مملكة القوط ومقر ملوكهم كما ذكرنا، واسمها تعريب للاسم اللاتيني توليدوث " Tholedoth " وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن غالب، المصدر السابق، ص ١٩ — ٢٠؛ http://ar.wikipeedia.org/wiki/Toledo.

وثالثاً بعد سنتين من الهجوم الثاني ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعزى ذلك إلى قصور في الدبلوماسية الأندلسية، وإنما يعود سبب ذلك إلى الطرف الآخر وهم النورمان ونقضهم للعهود التي أبرموها آنفاً.

لقد ذكر الكثيرون من الكتّاب سفارة الغزال هذه وزادوا عليها سفارة أخرى قام بها الغزال نفسه إلى القسطنطينية، ومن هؤلاء الكتاب وعلى سبيل المثال لا الحصر محمد عبد الله عنان في كتابه دولة الإسلام وإحسان عباس في كتابه تاريخ الأدب الأندلسي المذكوران آنفاً. إلا أن هناك من ينكر إحدى السفارتين ويعدهما سفارة واحدة قام بها الغزال إلى القسطنطينية وينفي توجهه إلى بلاد النورمان[1]. إن السبب وراء إنكار سفارة الغزال إلى بلاد النورمان مرده إلى أن المصادر القريبة لم تذكر تلك السفارة وأن الذي ذكرها هو ابن دحية في مطربه فقط حيث ذكر تفاصيل السفارة، ولهذا يمكن لنا أن نقول: إن هناك أدلة تثبت توجه تلك السفارة إلى شمال أوربا من خلال تتبع سير رحلة السفارة وتفاصيلها، وقبل أن نبين ما يثبت وجهة السفارة نستطيع القول: أن كثرة المصادر لا تعني بالضرورة الصواب وقلتها لا تعني بالضرورة الخطأ في إثبات الحدث التاريخي. فإذا تتبعنا سير تلك السفارة من الناحية الجغرافية منذ انطلاقها من الأندلس حتى بلوغها مقصدها بلاد النورمان، لاحظنا أن المناطق التي مرت بها خلال سير[2] تلك الرحلة تقع كلها على ساحل المحيط

---

(١) بروفنسال، ليفي: الإسلام في المغرب والأندلس، دار نهضة مصر، (القاهرة، د. ت)، ص ١٠٤.

(٢) للتعرف على اتجاه رحلة الغزال ينظر: ملحق رقم (٤).

الأطلسي أو بالقرب منه والذي بدوره يوصل إلى شمال أوربا؛ فضلاً عن أهوال البحر الذي وصف موجه السفير يحيى بن الحكم الغزال بأنه كالجبال مثلاً؛ فضلاً عن وصفه لشدة الرياح، وهذا الوصف ينطبق على المحيط الأطلسي[١] أكثر منه على البحر المتوسط الموصل إلى القسطنطينية، وفي وصف الغزال الموج وشدة الرياح يقول:

قالَ لي يَحيى وِصرنا بين موج كالجبالِ

وتولتنا رياحٌ من دبور وشمالِ[٢]

وهناك دليل آخر واضح في شعر الغزال وفيه يقول:

إني تعلقتُ مجوسيةً تأبى لشمس الحسنِ أن تغربا[٣]

إن في هذا البيت الشعري تعبيراً واضحاً عن الحب الذي يكنه إلى من سماها بالمجوسية وهي الملكة(نود) زوج ملك النورمان عندما وصف

---

(١) مما يدل على شدة الرياح في المحيط الأطلسي ما تعرض له الأسطول الأندلسي أثناء توجهه إلى جليقية إذ عصفت به رياح شديدة دمرت الأسطول وشكل هذا الحدث كارثة كبيرة سنة ٢٦٦ هـ / ٨٧٩ م. وللمزيد من التفاصيل ينظر: بوتشيش، إبراهيم القادري: مجلة المناهل، أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط – المغرب، ع / ٣٢، السنة ١٢، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٢٤٠.

(٢) ابن دحية ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ وينظر : المقري ، المصدر السابق : ٣ / ٢٦ . لقد كررنا هذه الأبيات الشعرية للحصول على دليل إثبات للحدث لا غير.

(٣) ابن دحية ، المصدر السابق ، ص ١٤٤.

حسنها وجمالها فإذا كانت السفارة قد توجهت إلى القسطنطينية كما يظن المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال فمن أين جاء المجوس إلى القسطنطينية ؟ وهل كان فيها من يعبد النار في ذلك الحين !؟ كما أن العرب المسلمين في الأندلس آنذاك لم يطلقوا لفظ المجوس إلا على من يقطن جزر شمال أوربا ومنها الدنمارك التي سكنها النورمان إذ كانوا يعبدون النار قبل تنصرهم، مثلما ورد ذلك عند ابن دحية[1].

---

(١) ينظر الهامش رقم (٣) ص ٧٤ من الرسالة.

الفصل الخامس

(التمثيل الدبلوماسي لعصر الخلافة الأموية في الأندلس ٣١٦ - ٤٢٢ هـ / ٩٢٨ - ١٠٣١ م)

المبحث الأول / سفارة الناصر إلى ملك ألمانيا

المبحث الثاني/ السفارات الأندلسية الأخرى

بعد أن توفي الأمير عبد الله بن محمد الأول في سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م «ولي حافده عبد الرحمن ابن ابنه محمد قتيل أخيه المطرف، وكانت ولايته من الغريب لأنه كان شابا وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون فتصدى إليها، وحازها دونهم، ووجد الأندلس مضطربة فسكنها وقاتل المخالفين حتى أذعنوا، واستنزل الثوار ومحا أثر ابن حفصون [1] كبيرهم، وحمل أهل طليطلة على الطاعة، وكانوا معروفين بالخلاف والانتقاض. واستقامت الأندلس وسائر جهاتها في نيف وعشرين سنة من أيامه ودامت أيامه نحوا من خمسين سنة استفحل فيها مُلك بني أمية بتلك

(١) كان من الخوارج القائمين في الأندلس بأعمال رية قبل سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م وكان جلدا شجاعا أتعب السلاطين وطال أمره لأنه كان يتحصن عند الضرورة بقلعة هناك تعرف بقلعة ببشتر موصوفة بالامتناع، كان أبوه من مسالمة أهل الذمة، وكان سبب ثورته أنه ظفر به احد من بني خالد المعروف بدونكير، وكان عامل رية في فساد أخله فيه، فضربه بالسياط. ينظر: ابن القوطية، المصدر السابق، ص١٠٩ – ١١١؛ الحميدي، المصدر السابق، ص ٢٦٨.

النواحي،...»[1]. وبلغت الأندلس أعلى ما وصلت إليه من رُقي ورفعة شأن ولم تبق أمة سمعت بها إلا وفدت عليها خاضعة راغبة[2].

لقد كان عبد الرحمن بن محمد أول من تلقب بلقب أمير المؤمنين من بني أمية في الأندلس وكذلك تلقب بأحد الألقاب السلطانية وهو «الناصر» ثم تلقب من جاء بعده من الخلفاء بإمرة المؤمنين وسبب ما أقدم عليه عبد الرحمن بن محمد يعود إلى ضعف الخلافة العباسية في المشرق وسيطرة الأتراك والديلم على الدولة واستبدادهم على بني العباس، وقد أعلن لقب أمير المؤمنين للناصر في سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨م [3]، وفي يوم إعلان هذا اللقب للناصر أنشد ابن عبد ربه قائلا:

بدا الهلالُ جديدًا   والملك غض جديدُ
يا نعمة الله زيدي   فما عليكِ مزيدُ
إن كان للصوم فطر   فأنت للدهر عيدُ[4]

كان الناصر يكثر من الجهاد والغزو وكان يقود المعارك بنفسه[5]. وقد حكم خمسين سنة وسبعة أشهر وثلاثة أيام وتوفي سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م

(١) ابن خلدون، المصدر السابق: ٤ / ١٦٥. وينظر: المقري، المصدر السابق: ١ / ٣٣٠.
(٢) العسلي، بسام: عبد الرحمن الداخل (صقر قريش)، دار النفائس، (بيروت، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م)، ص ١٥٢.
(٣) ابن عذارى، المصدر السابق: ٢ / ١٥٧ وينظر: المقري، المصدر السابق، ١ / ٣٣٠ – ٣٣١.
(٤) ابن عبد ربه، المصدر السابق: ٥ / ٢٢٣.
(٥) المقري، المصدر السابق: ١ / ٣٣١.

ووجد بخط يده ما نصه «أيام السرور التي صفت لي دون تكدير في مدة سلطاني يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا»[1] وقد عدت تلك الأيام التي صفت للناصر فوجدت أربعة عشر يوماً[2].

وعندما توفي الخليفة عبد الرحمن الناصر تولى الخلافة من بعده ابنه وولي عهده الحكم المستنصر الذي سار على نهج وطريقة أبيه ولم يتغير شيء سوى شخص الناصر[3]. وكانت مدة حكمه قصيرة مقارنة مع حكم أبيه، إذ حكم ١٥ سنة و ٧ أشهر وثلاثة أيام. كان عظيماً محباً للعلم إذ نهض بالحركة العلمية في الأندلس إلى أعلى ما وصلت إليه، وكانت باكورة أعماله وهو خليفة النظر في زيادة المسجد الجامع في قرطبة. لقد وفدت على بلاط المستنصر وفود عدة من جهات شتى شأنه في ذلك شأن أبيه وبلاطه، وفي سنة ٣٥٤ هـ/ ٩٦٥ م رزق بابنه هشام الذي سيلقب بالمؤيد، وفي عهده عاد المجوس لغزو الأندلس ووصلوا إلى اشبيلية فأخرج إليهم قائد البحر[4].

وفي عهد الحكم المستنصر اتصل محمد بن أبي عامر بخدمته وعن هذا يقول ابن عذارى: «كان اتصال ابن أبي عامر بالحكم، فيما حدثني به ابن حسين الكاتب والأديب أبو إسحاق بن محمد الإفليلي وغيرهما من

(١) ابن عذارى، المصدر السابق: ٢ / ٢٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص. ن.

(٣) المقري، المصدر السابق: ١ / ٣٥٨.

(٤) مؤنس، موسوعة: ١ / ٣٤٣ – ٣٤٥.

المشيخة أن الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، القائم بدولة الحكم، خلا في بعض الأيام بالقاضي محمد بن إسحاق بن السليم؛ فشكا إليه ابن السليم شجوه بمحمد بن أبي عامر ووصف له حاله. فلما طلب الحكم له وكيلا لولده عبد الرحمن الدارج في حياته، ذكر له جعفر ابن أبي عامر بخير، ووصف لأم عبد الرحمن جماعة اختارت منهم ابن أبي عامر، وذلك باختيار جعفر له؛ فنصبه الحكم لخدمتها وخدمة ابنها عبد الرحمن»[1]. وبهذه البداية البسيطة سيكون لشخصية محمد بن أبي عامر شأن فيما بعد، وهو ما سنتقصّاه.

سفارة الخليفة الناصر إلى ملك ألمانيا

وصلت قرطبة إلى قمة مجدها في عصر الخلافة الأموية في الأندلس (٣١٦ – ٤٢٢ هـ / ٩٢٨ – ١٠٣١ م)، وهذه السفارة التي نحن بصددها الآن تمثل أنموذجاً لما وصلت إليه قرطبة من خلال تتبع تفاصيل تلك السفارة وما تعلق بها من أحداث تدل على المستوى الدبلوماسي العالي والمكانة المرموقة لقرطبة.

(١) المصدر السابق: ٢ / ٢٥١.

كان عبد الرحمن الناصر [١] (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ / ٩١٢ – ٩٦١ م) إذ ذاك زعيم الإسلام في حين كان الإمبراطور أوتو الأول – الكبير Otto I – The Great – زعيم النصرانية[٢].

لقد وصل كتاب من عبد الرحمن الناصر إلى اوتون ملك ألمانيا احتوى على بعض العبارات التي فيها مساس بالدين المسيحي [٣]. مما جعل تلك الرسالة تدان من لدن رجال الدين المسيح المحيطين بالإمبراطور الألماني(أوتو) أو(أوتون) بالرغم من الصداقة التي يبتغيها الخليفة الأندلسي [٤]. ولهذا قرر الإمبراطور الألماني إرسال سفير إلى قرطبة للدفاع عن النصرانية فانتدب لهذه المهمة الراهب او الحبر يوحنا الجورزينى - نسبة إلى الدير الذي ينتمي إليه هذا الراهب - ويدعى أيضاً (جان جورزي John of Gorze) الذي يعد من العلماء الكبار [٥]. إن

---

(١) للتعرف على نسب عبد الرحمن الناصر ينظر: ملحق رقم (٦).

(٢) أعلن عبد الرحمن الثالث نفسه خليفة وولي أمر المسلمين سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م وبذلك أنهى التبعية النظرية الدينية إلى بغداد وللمزيد من التفاصيل ينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٤٥٦؛ Jose, op , cit , p. ٨٨.

(٣) لم يرد ذكر لكيفية وصول الكتاب ينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٤٥٧؛ ارسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ٢٢٨.

(٤) Daniel , Norman The Arabs and Mediaeval Europe , Longman. Librairie du Liban, (London, No.d) P.٦٤.

(٥) عنان، دولة الإسلام، ص ٤٥٧ وينظر: الحجي، اندلسيات: ١ / ٤٩. لقد عد شكيب ارسلان في كتابه / تاريخ غزوات العرب/ الراهب جان سفير ملك فرنسا في ص ٢٣٠. في حين عدّ

الهدف الرئيس لهذه السفارة لم يكن هدفاً دينياً مهمته الدفاع عن النصرانية وإنما يعد الهدف الديني هدفاً ثانوياً وان الهدف الرئيس لهذه السفارة تمثل في محاولة إيقاف خطر أندلسي خلف جبال البرتات أو البرانس Pyrenees [(١)].

هذا الخطر مثله آنذاك قيام دويلة جبل القلال التي عرفت باسم (فراكسنيتوم) [(٢)].

لقد ذكر بعض المؤرخين أنه في سنة ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م وصلت سفينة إلى جنوب شرق فرنسا في منطقة البروفانس (Provence) وكانت تحمل بعض البحارة الأندلسيين وقد استقر هؤلاء البحارة في منطقة جبلية منيعة تقع شمال مرسيليا وكان هؤلاء البحارة بدأوا بفتح بعض المناطق وقد نجحوا في ذلك الأمر الذي جعل أعدادا كبيرة من المؤيدين تلتحق بهم من الأندلس ومن شمال أفريقيا وقد عرفت قاعدتهم في المصادر اللاتينية: باسم فراكسنيتوم (Fnaximete Fraxinet Fraxinetum) أما الرواية الإسلامية فتسميها جبل القلال، وقد استمرت هذه الدويلة حتى سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م. لقد كانت لهذه الدويلة سلطة واسعة شملت جنوبي فرنسا

كل من عنان والحجي في كتابيهما سابقي الذكر أعلاه الراهب جان سفير إمبراطور ألمانيا وهو الأقرب إلى الصواب.

(١) عنان، دولة الإسلام، ص. ن وينظر: الحجي، أندلسيات: ١ / ٤٧.

(٢) يظن أن مكانها اليوم هو قرية جارد فرينيه Garde Frinet على سفح جبال الألب ينظر: عنان، دولة الإسلام، ص٤٦٧.

وشمالي ايطاليا وسويسرا، وقد قامت بعض المحاولات للحد من توسعها تمهيداً للقضاء عليها منها تبادل السفارات بين الأندلس والإمبراطورية الرومانية (المقدسة) في زمن الإمبراطور أوتو الأول (Otto I)، وقد وصلت إلى بلاط قرطبة سفارة ألمانية سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣م [١] هدفها التوسط لدى قرطبة في معالجة الوضع. لكن الأندلس لم تكن مسؤولة عما يحدث الأمر الذي جعل السفارة تعود دون تحقيق هذا الهدف [٢].

مِمَا تقدم ذكره بشأن هدف السفارة الذي رأى الحجي أنه لم يتحقق ربما يكون الرأي غير دقيق، لأن السفارة هذه كانت تروم هدفين: الأول ظاهري: تمثل بالطلب من قرطبة التدخل لمنع تجاوزات تلك الدويلة إن كانت مرتبطة بالخلافة. والهدف الآخر: جعل قرطبة على الحياد في حالة قيام إمبراطور ألمانيا بأي جهد للقضاء على تلك الدويلة. وهذا ما تحقق من تلك السفارة على ما سيأتي، وهذا إن دلَ على شيء فإنما يدل على العظمة والأهمية التي كانت تتمتع بها الدولة الأموية في الأندلس آنذاك. الأمر الذي جعل إمبراطور ألمانيا لا يخطو أية خطوة من دون معرفة موقف قرطبة..

لقد انطلق الراهب جان يرافقه راهب آخر إلى قرطبة محملاً بالهدايا النفيسة عن طريق فرنسا، ثم الأندلس. وعند وصوله إلى قرطبة رُحب به

(١) لقد حدد تاريخ هذه السفارة في ٣٤٤ هـ / ٩٥٦ م ينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٤٥٦.

(٢) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٣١٣ وينظر: الحجي، أندلسيات: ١ / ٤٧ – ٤٩.

وأنزل في إحدى دور الضيافة – منية الناعورة - إلا أن الخليفة لم يستقبله بعد أن عرف مضمون الرسالة من المكلفين بإعداد المقابلة مع الخليفة (١). إن السبب وراء عدم السماح للسفير بمقابلة الخليفة الناصر يعود إلى أن الناصر لم يكن يرغب بأن تكون المسائل الدينية مثار جدل بينهما، وعندما أصر السفير على المقابلة كان رد الناصر أن رسولاً أسقفا أرسله إلى أوتو فاعتقله ثلاث سنوات وانه سيفعل بالراهب السفير أكثر من خلال اعتقاله أضعاف مدة اعتقال رسول الخليفة (٢). إلا أن هناك من يرى غير هذه الأسباب ويعزوها إلى شدة اللهجة التي كتبت بها رسالة الإمبراطور وانتقاد تلك الرسالة لآراء الخلافة السياسية. ويمكن للسفير مقابلة الخليفة بدون الرسالة إلا أن السفير أصر على المقابلة مع الرسالة، ولهذا استقر الرأي بعد مداولات أسفرت عن إرسال سفارة أندلسية إلى ألمانيا وأنْ يبقى السفير الألماني في الأندلس لحين عودة سفير الخلافة (٣). لقد

(١) عنان، دولة الإسلام، ص ٤٥٦ – ٤٥٧ وينظر: الحجي، أندلسيات: ١ / ٤٩ – ٥٠ تشير بعض المراجع إلى ان تلك الرسالة التي حملها الراهب تحمل في طياتها إساءة للنبي محمد (ص) والإسلام. ينظر: مكيب، جوزيف: عبد الرحمن الناصر، تر: عبد المسيح وزير، (بغداد، ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م) ص ٢٦.

(٢) عنان، دولة الإسلام، ص ٤٥٧.

(٣) الحجي، أندلسيات: ١ / ٥٠. هناك من يقول بان سفير الإمبراطور هو الذي اقترح إرسال سفير أندلسي إلى إمبراطور ألمانيا أوتو (Otto I) وللمزيد من التفاصيل ينظر: Daniel , op , cit , P. ٦٧.

انتدب لهذه المهمة (إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي)[١]، ولكن هل كان هذا هو السفير أم كان أحد أعضاء السفارة ؟هذا غير معروف[٢] كما يذكر ذلك لويس Lewis. إلا أن الدخول في تفاصيل السفارة يشير إلى أنه ربما كان الشخص الأول في تلك السفارة.

انطلق سفير الخليفة متوجها إلى ألمانيا عن طريق فرنسا. وعندما وصل إلى ألمانيا كان الإمبراطور مشغولاً بمشاغل داخلية متمثلة بثورة قام بها ابنه، وقد استقبل سفير الخليفة بحفاوة وقبلت وجهات نظر الخليفة، وعاد السفير بعد نجاح سفارته إلى قرطبة[٣]. وهناك من يشير إلى أن سفير الخليفة توجه إلى فرنسا ومنها إلى مدينة(فرانكفورت) الألمانية حيث كان يقيم الإمبراطور، وقد استقبل خير استقبال ووافق الإمبراطور على تغيير الرسالة المرسلة من لدنه برسالة جديدة رقيقة اللهجة لتكون

(١) هو احد رعايا الخليفة ويسمى أيضا ربيع أو ريفا الأسقف وكان عالما متمكنا وذا حظوة وتقدير لدى الخليفة الناصر. ينظر: عبد الرحمن علي الحجي، محقق كتاب: ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٢٠ – ٢١ الهامش؛ عنان، دولة الإسلام، ص ٤٥٧، ويسمى ريثموندو Recemundo وتسميه الرواية الأندلسية ربيع بن زيد وكان يجيد العربية واللاتينية على حد السواء، عينه الناصر أسقفا لمدينة البيرة Elvira تقديرا لقيامه بهذه السفارة. ينظر: الحجي، اندلسيات: ١ / ٥١ ولقب بالطرطوشي نسبة إلى مدينته الصغيرة الواقعة على ساحل كتلونيا قرب برشلونة. ينظر: Lewis , op , cit ,P.٩٣ .

(٢) Ibid , P. ٩٤.

(٣) عنان، دولة الإسلام، ص ٤٥٧.

محل الأولى، ثم عاد السفير بعد خمسة عشر شهراً لسفارة ناجحة [١]. وبعد عودة سفير الخليفة أذن لسفير الإمبراطور الراهب(جان أو يوحنا الجورزيني) بمقابلة الخليفة، وقد استقبل بقصر قرطبة في الجناح الشرقي المخصص للسفراء والمسمى المجلس المؤنس حيث الاحتفال الكبير، والفخامة العالية [٢].

يبدو من خلال سير الأحداث المتعلقة بالسفارة التي وجّهت إلى ألمانيا أن الوضع الداخلي في ألمانيا كان له كبير الأثر على سياستها الخارجية، في الوقت الذي وصلت فيها سفارة الخلافة الأندلسية، لأن الإمبراطور الألماني أراد التفرغ لوضعه الداخلي مما جعله يستجيب للسفير الأندلسي، ومطلب الخلافة بتغيير الرسالة برسالة ثانية. وربما لو كان وصول سفير الأندلس في وقت غير وقت وصوله وفي وضع مغاير للوضع الداخلي لإمبراطور ألمانيا لكان الحال مختلفاً والنتائج غير التي تحققت ولاشك.

السفارات الأندلسية الأخرى

إن النصارى في شمال أسبانيا كانوا ينشغلون حيناً من الوقت في صراعاتهم الداخلية، وبهذا الوقت تتفرغ الخلافة في الأندلس إلى إصلاح

---

(١) الحجي، أندلسيات: ١ / ٥١.

(٢) عنان، دولة الإسلام، ص ٤٥٧ – ٤٦٨ وينظر: الحجي، أندلسيات: ١ / ٥١ – ٥٢.

شؤون الأندلس الداخلية، وفي الوقت نفسه يلجأ النصارى إلى السلم وطلب الصلح من الخلافة عندما تتأزم أوضاعهم الداخلية. إن مثل هذا الأمر حصل في زمن الخليفة الناصر عندما طلب (راميرو Ramero) ملك ليون السلم من الخليفة الناصر وعقد صلح بين الطرفي، فأجابه الناصر لذلك وبعث إليه سفيرا ليعقد معه شروط السلم[١].

إن عقد السلم هذا لم يقتصر على مملكة ليون؛ وإنما شمل برشلونة كذلك، عندما عقد السلم بين الطرفين صاحب برشلونة الإفرنجي (شنير بن منفريد) والخليفة الناصر الذي بعث إليه كاتبه(حسداي بن إسحاق)[٢] «الإسرائيلي» لعقد السلم وفق ما يرتضيه الناصر من شروط[٣]. وكان ملخص تلك الشروط تتمثل في أن يمتنع شنير هذا عن تقديم الدعم والمساعدة إلى جميع النصارى الذين في حالة حرب وعدم وفاق مع الناصر، وأن يلتزم طاعته، وأن ينهي عقد المصاهرة التي بينه وبين غرسيه

---

(١) لم يرد ذكر لاسم السفير المرسل، ولكن يرجح أن يكون حسداي بن شبرط اليهودي لأنه كثيرا ما كلف بمثل هذه المهمات. ينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٤٢٢.

(٢) هو حسداي بن شبرط، عالم وطبيب وابرز من مثل الثقافة اليهودية في قرطبة. عمل في خدمة الخليفة عبد الرحمن الثالث والحكم من بعده. اجتذب المفكرين، والشعراء والفلاسفة اليهود وقام بمهمات دبلوماسية في عصر الخلافة، وكان مشرفاً على أنشطة الترجمة ويعد دبلوماسياً نشطاً.
ينظر: هيلنبراند، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ص ١٩٧؛
Miguen Aviles Fernendez Y. Otros , Nueva Historia de Espana , Edaf – Ediciones – Distribuciones , S.A. , Volumen ٦ , (Madrid , ١٩٧٣) , P. ٧١.

(٣) عنان، دولة الإسلام، ص ٤٢٢.

بن شانجه صاحب بنبلونة «نبرة»، وكان شنير قد زوجه ابنته فأنهى زواجها استجابة لرغبة الناصر [١].

ويمكن لنا أن نتلمس المكانة التي وصلت إليها قرطبة من حيث القوة، من خلال فرض الشروط التي ترغب بها الخلافة واستجابة الطرف الآخر لتلك الشروط ورضوخه لها. ولكن إذا كانت الخلافة بتلك القوة التي تستطيع من خلالها فرض ما تريد فلم لم تقض على تلك الممالك الإسبانية في الشمال؟ يبدو لنا أن الخلافة كانت قادرة على فعل ذلك، ولكن هناك أسبابا تمنعها من القيام بذلك، أولها إن تلك الممالك كانت ترجع إلى الخلافة في كثير من أمورها؛ ولاسيما فيما يتعلق بفض النزاعات والصراعات فيما بينها، وعلى سبيل المثال طلبت المساعدة وصية عرش نافار " طوطة Toda " من الخليفة عبد الرحمن الناصر إعادة ابنها المخلوع غرسيه Garcia ملكاً على نافار وفعلاً حقق الناصر لها ما تريد وأرجع غرسيه ملكاً كما أرادت [٢]، ومما تجدر الإشارة إليه إن طوطة هذه هي عمة الخليفة عبد الرحمن الناصر كونها أخت أبيه محمد من أمه ونقه [٣]، وبذلك ظهر سبب ثان تمثل بعلاقات المصاهرة مع تلك الممالك ووجود صلة قربى ونسب مع الخلافة في الأندلس. إن مثل هذا

---

(١) المرجع نفسه، ص. ن.

(٢) كان ذلك سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م ينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٤٥٩؛ الحجي، اندلسيات: ٢ / ٨١.

(٣) طه، دراسات أندلسية، ص ١٧٠ وينظر: طه، مجلة أوراق، قيام الممالك الاسبانية، ص٩٧.

الأمر جعل من تلك الممالك تابعة للخلافة في الأندلس بشكل غير مباشر. وهناك سبب ثالث جدير بالذكر أن الخلافة في الأندلس كانت تمارس التسامح [(١)] مع غير المسلمين وترك الباب مفتوحاً أمامهم لممارسة حرية المعتقد، وجعلهم يمارسون ما يشبه بالحكم الذاتي في مناطقهم.

لقد توالت السفارات على بلاط الناصر تبغي صداقته، إذ وفدت عليه رسل ملك الصقالبة[(٢)] (بيتر) أو(بطرس)[(٣)] وقد استقبلوا خير استقبال

---

(١) لقد ساد التسامح كل اسبانيا وعاش في ظله السكان جميعا الأصليون والفاتحون، وكان للكنيسة مكان إلى جانب المسجد ودخل النصارى في خدمة الدولة وعهدت إليهم المناصب الهامة كالبعثات الدبلوماسية مثلا. ينظر: الصيحى، محمد إبراهيم: أثر العرب في الحضارة الأوربية، مكتبة الوعي العربي، (د. م، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م)، ص ٨١.

(٢) الصقالبة جمع صقلبي وبالاسبانية: Eslavos وبالانكليزية: Slavs وتعني الكلمة الشعوب السلافية وكانت بعض الشعوب الأوربية تبيعهم عبيدا إلى الأندلسيين الذين توسعوا في استعمال هذه الكلمة فأصبحت تعني فضلا عن ذلك الرقيق المجتلب من أوربا وكان اليهود يقومون بهذه التجارة. وظهر الصقالبة في البلاط الأندلسي بكثرة أيام الحكم المستنصر وكان كثير منهم يجلب إلى الأندلس أثناء طفولته فيربون تربية إسلامية ثم يدربون على شؤون القصر وقد تولوا مناصب كبيرة فيه وكانوا يسمون أيضا بالفتيان. وللمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الرحمن علي الحجي، محقق كتاب، ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٤٨ الهامش و مع بعض الاختلاف ينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٢٤٩ – ٢٥٠.

(٣) تطلق عليه بعض الروايات تسميه هوتو ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق: ٤ / ١٧١. أما تسمية بيتر فهو بطرس بن سيمون الكبير ملك بلغاريا وقد كان يومئذ يعرف بملك الصقالبة. ينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٤٥٦ الهامش.

واحتفل بهم وبعث الخليفة معهم سفيراً إلى ملكهم هو ربيعاً أو ريفا الأسقف[١].

ومن السفارات الأخرى السفارة التي وردت على الخليفة الناصر سنة ٣٤٤ هـ/ ٩٥٥ م من (اردونيو الرابع) ملك ليون يطلب فيها الصلح وإقرار السلام، وقد أجابه الناصر وأرسل في السنة التالية سفيره محمد بن الحسين[٢] يرافقه(حسداي بن شبروط) اليهودي وذلك لإقرار السلام بين الطرفين في ليون وببعض الشروط، وعاد السفير إلى الأندلس سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦ م ومعه رد ملك ليون اردونيو الرابع[٣].

ويبدو أن السفراء في هذه السفارة نجحوا في مهمتهم ونستطيع أن نلمس ذلك من هدوء الأوضاع بين الطرفين بعد رجوع السفراء؛ فضلاً عن طلب الصلح من لدن اردونيو ملك ليون نفسه.

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق: ٤ / ١٧١ وينظر: عنان، دولة الإسلام، ص. ن.

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد بن أسد بن محمد بن إبراهيم بن زياد بن كعب بن مالك التميمي الحماني الطبني الزابي، وطبنة هي من أرض الزاب في عدوة الأندلس، كان شاعرا وأديبا ومن بيت أدب وشعر كان في أيام الحكم المستنصر. قدم الأندلس في سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م، كان حافظا للأخبار عالما بالأنساب، ولي الشرطة. وتوفي سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ م، ومولده سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م، له أولاد نجباء. ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص ٤٥؛ مع بعض الزيادة في المعلوما؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٥٨ – ٥٩؛ ابن الفرضي، المصدر السابق: ٢ / ١١٩ – ١٢٠.

(٣) ابن عذارى، المصدر السابق: ٢ / ٢٢١ وينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٤٥٩؛ سالم، قرطبة، ١ـ/ ٧٠ الهامش؛

Miguen , po , cit , P. ٧١.

لقد حدثت ثورة في مملكة ليون سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م أدت إلى خلع شانجة Sancho المعروف بالسمين، ومن بين أسباب الثورة البدانة المفرطة التي أصابت شانجة، الأمر الذي جعله لا يستطيع ركوب الخيل فما كان من أشراف ليون إلا أن خلعوه ونصبوا محله اردونيو الرابع Ordono IV، فما كان من الملك المخلوع إلا أن استجار بجدته ملكة نافار، أو نباره Navarra التي بدورها استنجدت بالخليفة الناصر لإمدادها بالقوة الكافية لإرجاع عرش شانجة ومعالجته من مرض البدانة. وقد استجاب الناصر لطلب(طوطة) وأرسل سفيره (حسداي بن شبروط أو شبرط) لعلاج(شانجة) وفرض بعض الشروط التي قبلت بها، وتمثلت بتسليم بعض الحصون التي تقع على حدود الأندلس، وأن تحضر(طوطة) (وشانجة) إلى قرطبة، وبالفعل حضر الاثنان وأتم الخليفة علاج شانجة ليشفى من بدانته وأمده بما يحتاج إليه في استرجاع ملكه وبالفعل أعيد إلى عرشه بعد أن عقدت معاهدة صداقة وسلام بين الطرفين [١].

إن مما تجدر الإشارة إليه أن الكثير من العهود، والمعاهدات التي عقدت بين الأندلس والممالك النصرانية، كانت تنقض من قبل تلك الممالك، إلا أن الأندلس كانت تستمر في عقد معاهدات جديدة مع تلك

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ص ٥٩٣ وينظر: الحجي، أندلسيات: ٢ / ٨٠ – ٨٢؛ النقيب، أحلام حسن مصطفى: الخلافة في الأندلس من ٣٥٠ – ٣٦٦ هـ دراسة في الأحوال السياسية والاجتماعية، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة بغداد – كلية الآداب، (بغداد، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م)، ص ٢٠٧؛ Miguen , op , cit , p. ٧٠.

الممالك، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى سعة الصدر الذي تتمتع به قرطبة وعظيم التسامح الذي كانت تمارسه مع من لا عهد له.

ومن السفارات الأخرى التي انطلقت من قرطبة تلك السفارة التي أرسلها الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى مملكة (أراغون Aragon) وكان السفير أسقف مدينة اشبيلية عباس بن المنذر إلى بلاط راميرو الثاني Ramero II [١]. إلا أن سبب السفارة أو الغرض منها وحتى تاريخها لم يرد ذكره في المرجع الذي تطرق للسفارة. وبعد هذا كله توفي الخليفة الناصر سنة ٣٥٠ هـ/٩٦١ م بعد حكم دام خمسين سنة جعل من خلالها أعداءه من ملوك النصارى حلفاء؛ بل جعلهم أتباعاً له [٢]. لقد جاء من بعده ابنه الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ – ٩٧٦ م) حيث كان قد تمرن في الحكم وتعود عليه في زمن والده وكان صلباً حافظاً لحقوق ملكه و لحدود دولته [٣].

لقد وفدت على الخليفة المستنصر «رسل حلويرة [٤] عمة الطاغية أمير جليقية وكافلته فتكلموا عن مرسلتهم بكلام بدا فيه بعض الجفاء، ترجمه نصاً عنهم أصبغ بن عبد الله بن نبيل قاضي النصارى بقرطبة المتولي ذلك

(١) بالنثيا، رفاييل: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: ١ / ٢٢٠.

(٢) العبادي، عبد الحميد: المجمل في تاريخ الأندلس، ر: مختار العبادي، دار القلم، ط ٢، (د. م، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م)، ص ١٢١.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٥ – ١٢٦.

(٤) نظرا للتشابه مابين وضع حلويرة هذه و طوطة وصية عرش نافار، أرجح أنهما شخصية واحدة.

عن الأعاجم، أنكره الخليفة لوقته، فازورّ للمترجم ونهره، وأمر بتأخير الرسل عنه ونالهم ببعض التوبيخ، وألزم أصبغ المترجم ذنبه، وأمر بإقصائه وعزله عن قضاء النصارى وإهانته، وتعريف الرسل بسوء ما أداه عنهم، فقعد لهم صاحب الخيل زياد بن افلح في بيته بدار الجند وعركهم، وعرّفهم أنه لولا احتجازهم بذمة الرسالة لعوجلوا [من العجلة والسرعة] بالعقوبة، وخصّ المترجم أصبغ بالملامة لإقدامه على ما أقدم عليه من سوء المخاطبة، وخصه بأشد الوعيد وعرفه بما كان قد همّ به أمير المؤمنين فيه من غليظ العقاب والتشديد لتركه تأديب هؤلاء الأعلاج وتثقيف ما يلقونه إليه من كلامهم إذا كان المقلد ذلك منهم ومن أمثالهم من رسل الطواغيت لولا ما أعقبه من الصفح عنه؛ ونفذ العهد إلى أحمد بن عروس المورّوي المتفقه بالخروج إلى جليقية رسولا الى العلجة حلويرة مع رسلها المنقلبين عن قرطبة، وضم إليه عبيد الله بن قاسم المطران المترجم فخرجا مع الرسل الصادرين عنها في عقب صفر المؤرخ؛ وكان محمد بن مطرف يومئذ بناحية الغرب فخوطب يؤمر بالدخول معهما»[1].

إن ما قام به الخليفة الحكم المستنصر من تصرف مع رسل حلويرة هو تعبير عن المستوى الدبلوماسي العالي الذي توشحت به قرطبة في عصر الخلافة، وفيه تعبير كذلك عن آداب دبلوماسية رفيعة والتزام بالحصانة التي يتمتع بها السفراء حتى وإنْ صدر منهم سوء تصرف.

(١) ابن حيان، المقتبس في أخبار، ص ١٤٦ – ١٤٧.

لقد استمر حكم الخليفة الحكم المستنصر حتى سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م تلك السنة التي توفي فيها وخلفه من بعده ابنه هشام المؤيد الذي يكنى أبا الوليد، وكان سِنهُ حين ولي الخلافة عشرة أعوام وأشهر [١].

كانت أم هشام المؤيد تدعى صبح [٢] وكانت تخشى عليه وعلى ملكه بسبب صغر سنه؛ فضلاً عن كونها وصية عليه فانبرى لها محمد بن أبي عامر [٣] فضمن ترتيب الأوضاع واستقرار الملك لابنها. وصارت أمور الخلافة بيده بعد أنْ قضى على كل منافس له بمساعدة صبح أم هشام، وقام بحجب هشام المؤيد وتلقب بالمنصور [٤]. وقد تسمى بالحاجب المنصور سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١م، وبذلك أصبح الحاكم الأول والحقيقي للأندلس [٥].

(١) المراكشي، المصدر السابق، ص ٢١.

(٢) هي جارية بشكنسية « نافارية » ظهرت في بلاط قرطبة في بداية عهد الحكم المستنصر وكانت رائعة الجمال وشغف بها الخليفة وكبر نفوذها ورزق منها ابنه هشام إلا أنها جارية وحظية وليست زوجة حرة بالرغم من تمتعها بما يشبه الملكة الشرعية. وللمزيد من التفاصيل ينظر: عنان، دولة الإسلام، ص ٥٢٠.

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن عامر المعافري القحطاني، أصله من الجزيرة الخضراء ومن قرية تدعى طرش ورد إلى قرطبة وتعلق بوكالة السيدة صبح أم هشام المؤيد بن الحكم والنظر في أموالها وضياعها. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص ٦٩ – ٧٠؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٩٩ – ١٠٠.

(٤) المراكشي، المصدر السابق، ص ٢١ – ٢٣.

(٥) عنان، دولة الإسلام، ص ٥٣٥، ٥٤١.

أصبح الخليفة هشام المؤيد، لكنه لصغر سنّه كانت تسميته للخلافة شكلية فآلت إدارة الأمور بيد شخصية من خارج البيت الأموي؛ فضلاً عن حجب الخليفة نفسه من لدن صاحب الأمر والنهي محمد بن أبي عامر.

لقد اهتم المنصور بن أبي عامر بالجهاد ضد القوى النصرانية وحقق الكثير من الانتصارات في المعارك التي قادها بنفسه[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أنه «غزا نيفاً وخمسين غزوة ذكرت في « المآثر العامرية » بأوقاتها، وآثاره فيها، وفتح فتوحا كثيرة، ووصل إلى معاقل جمة امتنعت على من كان قبله[٢]، وملأ الأندلس بالغنائم والسبي، وكان في أكثر زمانه لا يخل بغزوتين في السنة»[٣]، ثم إن الشمال المسيحي كان يعيش سنوات عجافاً في هذه المرحلة التاريخية وسابقتها ويظهر فرق كبير بين الشمال المسيحي وأسبانيا الجنوبية من حيث التطور والازدهار[٤].

إن مدة حكم المنصور بن أبي عامر حتى وفاته من ٣٦٦ - ٣٩٣ هـ / ٩٧٦ – ١٠٠٢م[٥]، تخلو من العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس

---

(١) المرجع نفسه، ص ٥٤٠ وينظر: حسين، المرجع السابق، ص ١٠٦ – ١٠٧.

(٢) تمكن من إخضاع اسبانيا كلها من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال. ينظر: الصوفي، خالد: تاريخ العرب في اسبانيا، مكتبة دار الشرق، ط١، (حلب، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م) ص ١٠٥.

(٣) الحميدي، المصدر السابق، ص ٧٠ وينظر: الضبي، المصدر السابق، ص ١٠٠.

(٤) Miguen , op , cit , P.٦٨.

(٥) المراكشي، المصدر السابق، ص ٢٩.

والممالك الأوربية، تلك العلاقات التي عهدناها في زمن الخليفة الناصر وابنه المستنصر، ويرجع السبب في ذلك إلى المعارك المستمرة التي خاضها المنصور بن أبي عامر والتي شملت عهده كله(١). ثم خلفه ابنه عبد الملك المظفر أبو مروان وقام بالأمر بعد وفاة أبيه المنصور بن أبي عامر، وقد سار عبد الملك في الغزو والسياسة عن الخليفة هشام المؤيد على طريقة أبيه المنصور، ودامت أيامه أعياداً وأماناً واستمر يحكم سبع سنين حتى توفي(٢).

لقد صارت الأندلس في عهد عبد الملك المظفر يحتكم عندها ملوك الروم، وهذا ما حدث في سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ م عندما احتكمت ملوك الروم إلى الحاجب عبد الملك بن أبي عامر عندما توسط عبد الملك لحل الخلاف بين قومس جليقية مندس بن غنزالز Menendo Gonzalez الوصي على ملك ليون الصغير الفونسو الخامس، وبين قومس قشتالة شانجة بن غرسيه، وقد انتدب عبد الملك لهذه المهمة عدداً من نصارى قرطبة، ومنهم اصبغ بن عبد الله بن نبيل سفيراً عنه، وقد حكم لصالح مندس قومس جليقية الذي لم يرض بالحكم فنقض عهده مع عبد الملك الذي حاربه فجنح شانجه إلى السلم ووفد بنفسه إلى قرطبة فرحب به عبد الملك(٣).

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ص ٥٨٣.

(٢) المراكشي، المصدر السابق، ص ٢٩ وينظر: المقري، المصدر السابق: ١ / ٤٠٠.

(٣) ابن عذارى، المصدر السابق: ٣ / ١٠ وينظر: سالم، قرطبة: ١ / ٧٣.

إن هذا الأمر إنْ دلَ على شيء فإنما يدل على استمرار القوة والمنعة التي كانت عليها الأندلس في عهد عبد الملك المظفر وأبيه المنصور بن أبي عامر حتى ذكر بعض المؤرخين ذلك قائلاً: «انتهى المظفر عند ملوك الأعاجم في دولته إلى منزلة عظيمة مثل منزلة والده المنصور وأحلّوه محله في الإصغاء له، والتعظيم لجلاله والهيبة من سخطه، والطلب لمرضاته حتى صار أعاظمهم يحتكمون إليه فيما شجر بينهم فيفصل الحكم فيهم ويرضون بما قضاه ويقفون عنده»[١]. واستمر عبد الملك بن محمد بن أبي عامر أميراً للأندلس حتى توفي في سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨م [٢]، إلا أن هذه الحقبة الزمنية لم تشهد انطلاق سفارات إلى الممالك الأوربية مثل التي كانت من قبل، ويمكن أن نعزو سبب ذلك إلى انشغال عبد الملك المظفر بالمعارك والحروب سيراً على طريقة أبيه في هذا الأمر على الرغم من القوة، والمنعة التي كانت تعيشها الأندلس في عهده. ويفيد الجدول (٢) بالسفارات التي انطلقت من الأندلس إلى ممالك أوربا المسيحية الكاثوليكية في عصر الخلافة ويبين الجدول (٣) حصة كل حاكم من السفارات المنطلقة من الأندلس. وبوفاة عبد الملك المظفر تولى حكم الأندلس أخوه الملقب «شنجول»[٣] عبد الرحمن المنصور، أو

(١) المصدر نفسه: ٣ / ١٠.

(٢) الضبي، المصدر السابق، ص ٣٢٦.

(٣) شنجول لقب غلب عليه من لدن أمه عبدة بنت شانجة الملك النصراني تذكراً منها لاسم أبيها وهناك رأي آخر مفاده ان العامة من الناس لقبته به . ينظر : ابن عذارى ، المصدر السابق : ٣ /

الناصر، الذي تسلم دولة قوية الأركان ولم تمض ثلاثة أشهر على تلك الدولة حتى انهارت بسبب سلوكيات هذا الخليفة، إلا أن الخطوة التي أقدم عليها من خلال انتزاعه لولاية العهد من الخليفة هشام المؤيد كان لها كبير الأثر في النفوس التي تعودت على تقديس حقوق وشعائر الخلافة المتصلة بالأمويين. وكان من نتيجة ذلك قيام ثورة قادها محمد بن هشام[١]، وقد أنهت الدولة العامرية لتبدأ فتنة انطلقت من قرطبة لتجتاح سائر الأندلس، انتهت بإسقاط الخلافة الأموية نهائياً سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١م[٢].

ومما يبدو إن انشغال الأندلس بالفتنة، واضطراب الأوضاع الداخلية انعكس بدوره على التمثيل الدبلوماسي، وانعدام السفارات المرسلة إلى الممالك الأوربية؛ ولكن هذا الوضع شجع المتربصين بالأندلس على التحرك المضاد، ويمكن ملاحظة هذا الأمر بوضوح عندما وصل سفراء أمير قشتالة إلى قرطبة وكان حينها سانشو غرسيه الذي طالب بالحصون

---

٣٨ ؛ حتامله ، محمد عبده : الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة ، (عمان ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م) ، ص ٤١٩.

(١) هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الذي تلقب بالمهدي، ولد سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م وقتل عن عمر يناهز أربعاً وثلاثين سنة. وللمزيد من التفاصيل ينظر: المراكشي، المصدر السابق، ص ٣٠؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، ط ٢، (بيروت، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م)، ص ٤١٩.

(٢) عنان، دولة الإسلام، ص ٦٣٨ — ٦٣٩ وينظر مع بعض الإضافة حسين، المرجع السابق، ص ١٠٨ — ١٠٩؛ حتاملة، الأندلس، ص ٤٢١ — ٤٢٣.

الواقعة على الحدود، فما كان من أصحاب القرار في الأندلس إلا أنْ استجابوا لهذا الطلب اتقاء العدوان على الأندلس نتيجة لأوضاعها الداخلية المتردية [١].

(١) عنان، دولة الإسلام، ص ٦٥١.

الخاتمة

يعد موضوع السفارات ميدانا غاية في الأهمية ضمن علاقات الدول فيما بينها، كونها تكشف عن مدى الرقي، والتقدم؛ فضلاً عن حلها للكثير من الإشكالات العالقة فيما بين الدول.

ومن دراستنا لـ (سفارات الأندلس إلى ممالك أوربا المسيحية الكاثوليكية ١٣٨ – ٤٢٢هـ/ ٧٥٥ – ١٠٣١ م) نستطيع أنْ نصل إلى جملة من الحقائق، والاستنتاجات التي أفرزها البحث عبر النقاط الآتية:

١) إنَّ أهداف السفارات كثيرة منها الظاهري ومنها ما لم يصرح به؛ فضلاً عن الأهداف المزدوجة للسفارات؛ بل يصل إلى أبعد من ذلك التجسس.

٢) إن التمثيل الدبلوماسي الدائم لم يظهر كما يصفه بعضهم في القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري؛ وإنما عثر على تمثيل دبلوماسي دائم في زمن الخليفة الحكم المستنصر ٣٥٠ – ٣٦٦ هـ/٩٦١ – ٩٧٦م بين الأندلس المسلمة، والشمال الأسباني، وهذا يُمكّننا من القول أن التمثيل الدبلوماسي الدائم ظهر في القرن الرابع الهجري/الحادي عشر الميلادي.

٣) عدم وجود عداء حقيقي بين الديانة اليهودية، والنصرانية "المسيحية" من جهة، والإسلام من جهة أخرى، إذ تعايشت الديانات الثلاثة تعايشاً سلمياً وقد مارس اليهود، والنصارى معتقداتهم الدينية بكل حرية. وكان لبعضهم مراكز مهمة في الدولة الإسلامية في الأندلس، فهذا إبراهيم بن يعقوب اليهودي كان سفيراً للأندلس إلى ملك الألمان أوتو الأول، وكان للنصارى قاضٍ خاص بهم وكان يتولى مهمة الترجمة عند ورود سفارة من الممالك الأوربية إلى الأندلس. وعلى الرغم من الصراع المسلح سواء مع ممالك أسبانيا الشمالية أو ممالك أوربا الأخرى فقد كان يتخلل ذلك الصراع تبادل للسفارات التي كانت تبغي السلم والصداقة وأموراً أخرى؛ بل حتى حالات نقض العهد الذي طالما مارسته الممالك الأسبانية الشمالية كان يواجه بتسامح واضح من أولي الأمر في الأندلس الإسلامية؛ فضلاً عن المصاهرات التي حدثت بين المسلمين والنصارى.

٤) يعد بدر مولى عبد الرحمن الداخل السفير الأول للدولة الأموية في الأندلس، وواضع الأساس لتلك الدولة وذلك بفعل العمل الدبلوماسي الذي قام به في التمهيد لعملية عبور عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، والتفاوض مع الأمويين هناك. وما حققه من نجاح في مهمته التي كان من ثمارها تأسيس الإمارة الأموية في الأندلس سنة ١٣٨ هـ/ ٧٥٥ م.

٥) إن السياسة التي اتبعها عبد الرحمن الداخل في الأندلس منذ البداية، والتي كانت ترمي إلى بناء الدولة والقضاء على خصومه، والمناوئين له، والتركيز على الأوضاع الداخلية، جعل الاهتمام بالوضع الخارجي أقل، وهذا بدوره انعكس على الجانب الدبلوماسي، ومنه السفارات، إذ أنَ السفارات في زمن عبد الرحمن الداخل، وكل عصر الإمارة، كانت أقل إذا ما وازنته بعصر الخلافة؛ لأن التركيز كان مُنصَباً على بناء الدولة والقضاء على الخصوم حيثما كانوا.

٦) إن السفارة التي بعثها الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ / ٨٢١ – ٨٥٢ م) إلى ملك النورمان كانت ترمي من بين ما ترمي إليه، التعرف على تلك الأقوام التي هجمت على الأندلس والتعرف على قوتهم وموقعهم وكل ما يحيط بهم؛ لأنهم كانوا أشبه بالمجهولين عند أهل الأندلس. كما إن الأساليب الدبلوماسية التي أتبعت في استقبال سفارة الغزال تنمُ عن تطور للنظام الملكي عندهم واستقرار سياسي لا يقل عما هو عليه في الأندلس. ومن الجدير بالذكر أن تلك السفارة اتجهت إلى الدنمارك وهذا ما يثبته سير الرحلة التي قام بها الغزال، ونقطة انطلاقها من مدينة شلب القريبة من ساحل المحيط الأطلسي؛ فضلاً عن أهوال البحر التي وصفها الغزال في شعره التي تنطبق على الأجواء في المحيط الأطلسي.

٧) إنَ حالة الاستقرار السياسي التي عاشتها الأندلس في عصر الخلافة انعكست بدورها على مفاصل الحياة كلها، ومنها الجانب الدبلوماسي، والسفارات، إذ ازداد عدد السفارات القادمة إلى الأندلس والمنطلقة منها عما هو عليه في الحقب السابقة، وقد ظلت الأندلس قوية حتى في ظل الدولة العامرية إلى أنْ جاء شنجول الذي أضعف الدولة بسلوكياته غير الصحيحة. وكان منها انتزاع ولاية العهد من الخليفة هشام المؤيد، وقد ظلت الخلافة مابين مدٍ وجزر يأتي خليفة ويزاح آخر إلى أن انتهت الخلافة كاملة في سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١م.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً / المصادر العربية المطبوعة:

١) ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م)الحلة السيراء: تح: عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، (بيروت، ١٣٨١ هـ/١٩٦٢ م).

٢) ابن الأثير: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م).

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض وعلاء احمد، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت)، ثمانية أجزاء.

- الكامل في التاريخ: رج صح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط ٣، (بيروت، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨ م)، أحد عشر جزءاً.

٣) ابن الأثير: أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ/١١٤٩ - ١٢٠٩م). **النهاية في غريب الحديث والأثر**: تح: محمود عبد الطباحي، مؤسسة الإسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، (قم، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م).

٤) ابن الأزرق: أبو عبد الله (ت ٨٩٦ هـ/ ١٤٩٠ م) بدائع السلك في طبائع الملك: تح: علي سامي النشار، منشورات وزارة الثقافة والفنون، (بغداد، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٨ م) جزءان.

٥) ابن أعثم: أبو محمد احمد (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) **الفتوح**، دار الندوة الجديدة، ط١، مر: محمد عبد المعيد خان،(بيروت ، د. ت).

٦) ابن بسام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني " نسبة إلى شنترين بالبرتغال " (ت ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧م)

- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**: تح: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) أربعة أجزاء.

٧) ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (٣٨٤ – ٤٥٦ هـ / ٩٩٤ – ١٠٦٣ م) - **جمهرة انساب العرب**، ر: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، ط ٣، (بيروت، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).

- **طوق الحمامة في الألفة والألاف**: ض. ن: طاهر احمد مكي، دار المعارف، ط ١، (القاهرة، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م).

٨) ابن حيان القرطبي: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد(ت ٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦ م).

- **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**: تح: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، (بيروت، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م).

- **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، يشمل السنوات من ٢٣٢ – ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ – ٨٨٠ م، تح: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م).

٩) ابن الخطيب: لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م).

- الإحاطة في أخبار غرناطة: شر ض /يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م).

- تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام: تح تع / ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١،(القاهرة، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م).

١٠) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي (٧٣٢ – ٨٠٨ هـ / ١٣٣٢ – ١٤٠٥ م) ثمانية أجزاء.

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).

١١) ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (٦٠٨ – ٦٨١ هـ / ١٢١١ / ١٢٨٢ م).

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تح:إحسان عباس، دار الثقافة،(بيروت، د.ت).

١٢) ابن خياط: أبو عمرو خليفة بن أبي هبيرة الليثي العصفري (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) تاريخ خليفة بن خياط، ض. ن: مصطفى نجيب وحكمت كشلي، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م).

١٣) ابن دحية: أبو الخطاب عمر بن حسن(ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) المطرب من أشعار أهل المغرب: تح: إبراهيم الأبياري وآخرون، ر: طه حسين، دار العلم للجميع، (دمشق، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥ م).

١٤) ابن دريد: أبي بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م).

- كتاب جمهرة اللغة: تح و تق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط ١، (بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م).

١٥) ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م).

- الطبقات الكبرى: تق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، د. ت).

١٦) ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله (١٨٧ – ٢٥٧ هـ / ٨٠٣ – ٨٧١ م).

- فتوح أفريقية والأندلس، تح:عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م).

١٧) ابن عبد ربه: احمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م):

- العقد الفريد:تح:محمد سعيد العريان، دار الفكر، ط ٢،(القاهرة، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣م).

١٨) ابن عذارى: أبو عبد الله محمد المراكشي (ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م).

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول والثاني والثالث: تح مر / ج. س. كولان و ليفي بروفنسال، والجزء الرابع، تح:

إحسان عباس، دار الثقافة، ط٢٠، (بيروت، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م). أربعة أجزاء.

١٩) **ابن غالب**: محمد بن أيوب الأندلسي (ت في القرن السادس الهجري).

- **فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس** (مختصر منه بعنوان / تعليق منتقى من فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس)، تح: لطفي عبد البديع، (القاهرة، د. ت).

٢٠) **ابن فارس**: أبي الحسين احمد بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م).

- **معجم مقاييس اللغة**: تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، (بيروت، د. ت).

٢١) **ابن الفراء**: الحسين بن محمد (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م)

- **رسل الملوك ومن يصلح للسفارة**: تح / صلاح الدين المنجد، دار الكتاب العربي، ط ٢،(بيروث، د. ت).

٢٢) **أبو الفداء**: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)

- **تاريخ أبو الفداء**، علق: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، ط ١،(بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

- **المختصر في أخبار البشر**، إصدار دار البحار، (بيروت، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م) جزءان.

٢٣) ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣ هـ / ٩١٥ م).

- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تص: عزت العطار الحسيني،(القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤ م)، جزءان.

٢٤) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م).

- الإمامة والسياسة، علق / خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط ١،(بيروت، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م).

٢٥) ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عبد العزيز (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م).

- تاريخ افتتاح الأندلس: تح / عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، (بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧ م).

٢٦) ابن الكردبوس: أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري التونسي (ت بعد ٥٧٣ هـ/ ١١٧٧ م).

- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط: تح / أحمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، (مدريد، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م).

٢٧) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م).

- لسان العرب: دار صادر، (بيروت، د.ت).

- ٢٨) ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م).

- السيرة النبوية: تق وتع/ طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل،(بيروت، د. ت).

أربعة أجزاء.

٢٩) الاصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الناسي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م).

- المسالك والممالك، تح:محمد جابر الحسيني،(القاهرة،١٣٨١ هـ / ١٩٦١م).

٣٠) البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م).

- المسالك والممالك: تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤٢٤ هـ/ ١٤٢٤م) جزءان.

٣١) البلاذري: أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م).

- فتوح البلدان: تح: عبد الله أنيس الطباع و عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، (بيروت، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).

٣٢) الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م)

- الصحاح: تح: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، (بيروت، د. ت).

٣٣) الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي أبو العماد (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م)
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د. ت) أربعة مجلدات.
٣٤) الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م).
- معجم الأدباء: ر: وزارة المعارف العمومية، مكتبة القراءة والثقافة الأدبية، (القاهرة، د. ت) عشرون جزءاً.
- معجم البلدان: دار صادر، (بيروت، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م).
٣٥) الحميدي: أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الأندلسي (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م).
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تح: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م).
٣٦) الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي (ت ٦١٠ هـ / ١٢١٣م).
- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تص / ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م).
٣٧) الخشني: أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي (ت ٣٦١ هـ / ٨٧٤ م).

- قضاة قرطبة وعلماء أفريقية، تص/ عزت العطار الحسيني،(د.م، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢م)

٣٨) الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م).

- الأخبار الطوال: تق: عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م).

٣٩) الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م).

- دول الإسلام، تح: حسن إسماعيل مروه، قر و قد: محمود الأرناؤوط، دار صادر، (بيروت، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م).

٤٠) الرازي: محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م)

- مختار الصحاح:، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م).

٤١) الزَّبيدي: محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠ م).

- تاج العروس من جواهر القاموس: منشورات مكتبة الحياة، (بيروت، د. ت) .

٤٢) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١ هـ / ١٥٠٥ م).

- تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، ط ٢، (بيروت، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).

٤٣) الضبي:أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩ هـ ١٢٠٢ م).

- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس: تح / روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م).

٤٤) الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م).

- تاريخ الرسل والملوك: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط ٤، (القاهرة، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م) أحد عشر جزءاً.

٤٥) الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد (١٠٠- ١٧٥ هـ / ٧١٨ - ٧٩١ م).

- العين: تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط٢، (إيران، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩ م).

٤٦) الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشافعي الشيرازي (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م).

- القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، ط١،(بيروت، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م).

٤٧) القلقشندي: أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م).

- صبح الأعشى في صناعة الانشا، شر: نبيل خالد الخطيب، ط١،(بيروت، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م) أربعة عشر جزءاً.

٤٨) مجهول:

- أخبار مجموعة في فتح الأندلس، نشره اميلو لا فونتي. الكنترا، (مدريد، ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧م).

٤٩) مجهول:

- تاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط ١،(بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧ م).

٥٠) المرادي: أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني (ت ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م).

- كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة، تح: رضوان السيد، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، (بيروت، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م).

٥١) المراكشي: عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م).

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب: وض ح / خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، ط ٢، (بيروت، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).

٥٢) المقدسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م).

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: وض م / محمد مخزوم، دار إحياء التراثالعربي،(بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م).

٥٣) المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م).

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح / محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٩ م) أحد عشر جزءا.

٥٤) النباهي: أبو الحسن بن عبد الله بن محمد بن الحسن (ت بعد ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م).

- تاريخ قضاة الأندلس. المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا: تح/ لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط ٥، (بيروت، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م).

٥٥) الهروي: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م).

- تهذيب اللغة: تح / أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت،١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م).

٥٦) اليعقوبي:أحمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح(ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧م).

- البلدان: وض ح/ محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، ط ١،(بيروت، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢ م).

- تاريخ اليعقوبي: تح/ عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ط ١، (بيروت،١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م).

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة:

١) الآلوسي، جمال الدين:

- الدبلوماسية عند المسلمين العرب، منشورات مجلة الرسالة الإسلامية ٧،(بغداد،١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م).

٢) أرسلان، الامير شكيب: (ت ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م):

- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، منشورات دارمكتبة الحياة، (بيروت، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م).

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م).

٣) الاسطل، رضوان أحمد:

- الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي، مكتبة المنار، ط ١، (الزرقاء، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م).

٤) الأوسي، حكمة علي:

- فصول في الأدب الاندلسي من القرنين الثاني والثالث للهجرة، وكتبة الخانجي بمصر، ط٣، (بغداد، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٧م).

٥) بالنثيا، آنخل جنثالث:

- تاريخ الفكر الأندلسي، تر / حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م).

٦) بدوي، محمد طه:

مدخل إلى علم العلاقات الدولية، دار النهضة العربية، (بيروت، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م).

٧) البرقوقي، عبد الرحمن:

- حضارة العرب في الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١،(بور سعيد، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م).

٨) بروفنسال، ليفي Levi – Provencal: مستشرق فرنسي (ت ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م).

- الاسلام في المغرب والأندلس، دار نهضة مصر، (القاهرة، د. ت).

- حضارة العرب في الأندلس، تر / ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، (بيروت، د. ت).

٩) بروكلمان، كارل:

- تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين، دار العلم، ط ١٠،(بيروت، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤ م).

١٠) البعلبكي، منير:

- المورد / قاموس انكليزي – عربي، دار العلم للملايين، ط ٣٧، (بيروت، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣ م).

١١) التواتي، عبد الكريم:

- مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، مكتبة الرشاد، ط ١، (الدار البيضاء، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م).

١٢) الجيوسي، سلمى الخضراء: (المحرر).

- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، (بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م). جزءان.

١٣) حتامله ، محمد عبده:

- الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، (عمان، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م).

- الاعتداءات الافرنجيه (الصليبية) على ديار العرب في الأندلس والمشرق، ط١، (عمان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).

١٤) حتي، فيليب:

- تاريخ العرب، منشورات دار المعلمين العالية. بغداد - ٢، تر / محمد مبروك نافع (بغداد، ١٣٦٤ - ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٥ - ١٩٤٦ م).

١٥) الحجي عبد الرحمن علي:

- اندلسيات، دار الرشاد، ط١، (بيروت، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) جزءان.

- التاريخ الاندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢ - ٨٩٧ هـ / ٧١١ - ١٤٩٢م، ساعدت جامعة بغداد على نشره، دار القلم، ط ١،(دمشق، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م).

- الحضارة الاسلامية في الاندلس، دار الرشاد، ط١، (بيروت، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م).

١٦) حسن، إبراهيم حسن:

- تاريخ الإسلام، دار الجيل، ط ١٥، (بيروت، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م). أربعة أجزاء.

١٧) حسين، كريم عجيل:

- الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية (٩٢ - ٤٩٥ هـ = ٧١١ - ١١٠٢م)، مؤسسة

- الرسالة، ط١، (بيروت، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م).

١٨) حمادة، محمد ماهر:
- الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي افريقية ٦٤ — ٨٩٧ هـ / ٦٨٣ — ١٤٩٢م،
- منشورات مؤسسة الرسالة، (دمشق، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م).
١٩) حمودة، علي محمد:
- تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، دار الكتاب العربي، ط١،(القاهرة، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م).
٢٠) حميدة، عبد الرحمن:
- أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم،دار الفكر،(دمشق، ١٩٦٩ م).
٢١) الخربوطلي، علي حسني:
- الإسلام في حوض البحر المتوسط، دار العلم للملايين، ط ١، (بيروت، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م).
- العرب في أوربا، المكتبة الثقافية ١٤٣، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥ م).
٢٢) خطاب، محمود شيت :
- السفارات النبوية، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، (بغداد، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م).
٢٣) الدوري، ابراهيم ياس خضير:

- عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية، دار الرشيد للنشر، (بغداد، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م).

٢٤) دوزي، رينهرت Renhardt Dozy : المستشرق الهولندي

- تاريخ مسلمي أسبانيا، تر: حسن حبشي، مر: جمال محرز ومختار العبادي، دار المعارف، (القاهرة، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م).

- تكملة المعاجم العربية، تر: محمد سليم النعيمي، مر: جمال الخياط، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م).

٢٥) الزركلي، خير الدين :

- الإعلام، قاموس تراجم، دار العلم للملايين، (بيروت، د. ت)

٢٦) سالم، عبد العزيز:

- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، (بيروت، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م).

- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية،(بيروت، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م).

٢٧) السامر، فيصل:

- الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ٢، (بغداد، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م).

٢٨) السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون:

- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، جامعة الموصل، (الموصل، د. ت).

٢٩) سزكين، فؤاد :
- تاريخ التراث العربي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، تر / عرفه مصطفى، (الرياض، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م).

٣٠) سلامه، علي محمد:
- الأدب العربي في الأندلس، تطوره - موضوعاته وأشهر أعلامه، الدار العربية للموسوعات، ط ١، (بيروت، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م).

٣١) الشرقي، منيرة بنت عبد الرحمن:
- علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، (الرياض، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م).

٣٢) صالح، محمد محمد وآخرون:
- تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).

٣٣) صفوت، أحمد زكي:
- جمهرة رسائل العرب، (القاهرة، ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م).

٣٤) صلاواتي، ياسين:
- الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، مؤسسة التاريخ العربي، ط ١،(د. م، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٣٥) الصوفي، خالد:
- تاريخ العرب في أسبانيا، مكتبة دار الشرق، ط ١، (حلب، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م).

٣٦) الصيحي، محمد ابراهيم:
- أثر العرب في الحضارة الأوربية، مكتبة الوعي العربي، (د. م ، ١٣٨٨ ﻫ / ١٩٦٨ م).

٣٧) طه، عبد الواحد ذنون:
- دراسات أندلسية (المجموعة الأولى)، منشورات مكتبة بسام / مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، ط ١، (الموصل، ١٤٠٧ ﻫ / ١٩٨٦ م).
- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار الرشيد، (بغداد، ١٤٠٣ﻫ/ ١٩٨٢م).

٣٨) العبادي، عبد الحميد:
- المجمل في تاريخ الأندلس، ر: مختار العبادي، دار القلم، ط ٢، (د. م، ١٣٨٤ ﻫ/ ١٩٦٤م).

٣٩) عباس، إحسان:
- تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة، ط ٢، (بيروت، ١٣٨٩ ﻫ / ١٩٦٩م).

٤٠) عبد البديع، لطفي:
- الإسلام في أسبانيا، المكتبة التاريخية بإشراف الدكتور احمد عزت عبد الكريم، مكتبة النهضة المصرية، ط ١، (القاهرة، ١٣٧٨ ﻫ / ١٩٥٨ م).

٤١) العدوي، إبراهيم احمد:

- السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى، دار المعارف، اقرأ ١٧٩، (القاهرة، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م).

٤٢) العسلي، بسام:

- عبد الرحمن الداخل (صقر قريش)، دار النفائس، (بيروت، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م).

٤٣) العسلي، خالد صالح:

- العراق في مواجهة التحديات، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م).

٤٤) علي، جواد:

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات الشريف الرضي، (بغداد، د. ت).

٤٥) عنان، محمد عبد الله:

- الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، مؤسسة الخانجي، ط ٢،(القاهرة، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م).

- دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، ط ٤، (القاهرة، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م).

مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، مؤسسة الخانجي، ط ٤، (القاهرة، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢ م).

٤٦) العمايرة، محمد نايف:

مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان،ط ١، (الأردن، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م).

٤٧) العمري، عبد العزيز بن إبراهيم:

الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار اشبيليا، ط١،(الرياض، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م).

٤٨) غربال، محمد شفيق وآخرون:

الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان، (بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م).

٤٩) الغوري، إبراهيم حلمي: (اشراف ومراجعة)

أطلس العالم، المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية ، (سوريا ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م).

٥٠) الفتلاوي، سهيل حسين:

- تطور الدبلوماسية عند العرب، دار القادسية للطباعة، (بغداد، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠م).

٥١) كاسترو، أمريكو:

- أسبانيا فى تاريخها، المجلس الأعلى للثقافة، تر: على ابراهيم منوفي، مر: حامد أبو أحمد، ط١، (القاهرة، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).

٥٢) كريمر، صمول:

- من الواح سومر، تر: طه باقر، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (د. م، د. ت).

٥٣) لويس، ارشيبالد:
- دراسات إسلامية، دار الأندلس للطباعة والنشر، تر: انيس فريحه وآخرون،(بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠ م).
٥٤) المجذوب، محمد:
- القانون الدولي العام، منشورات الحلبي الحقوقية، ط٥،(بيروت، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م).
٥٥) محمد، فاضل زكي:
- الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، ط١، ساعدت وزارة المعارف على نشره،(بغداد، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).
٥٦) مروان، عبد الوهاب:
- النظرية السياسية بين اليونان والإسلام (مقاربة اتفاق وافتراق)، قدمس للنشر والتوزيع، ط ١، (دمشق، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م).
٥٧) مصطفى، إبراهيم وآخرون:
- المعجم الوسيط، دار الدعوة،(استانبول، ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م).
٥٨) مصطفى، شاكر:
المدن في الاسلام حتى العصر العثماني، ذات السلاسل، ط ١، (الكويت، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م).
٥٩) مقلد، إسماعيل صبري:
- العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات، منشورات ذات السلاسل، ط٥، (الكويت، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م).

٦٠) مكيب، جوزيف:

- عبد الرحمن الناصر، تر: عبد المسيح وزير، (بغداد، ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م).

٦١) مؤنس، حسين:

- فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط١،(القاهرة، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م):

- موسوعة التاريخ الاندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، (بورسعيد، د. ت)، جزءان.

٦٢) نيكولسون، هارولد:

- الدبلوماسية عبر العصور، د. تر، دار الكتاب العربي، (بيروت، د. ت).

٦٣) اليوسف، عبد القادر احمد:

- العصور الوسطى الأوربية ٤٧٦ – ١٥٠٠، دراسات تاريخية ،(بيروت،١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م).

المراجع الأجنبية /

أولاً: الانكليزية

- Daniel, Norman, The Arabs and Mediaeval Europe, Longman. Librairie du Liban ,(London , No.d)

- E.L.Wood Ward: A History of England , Methuen–Coltd, (London, ١٩٦٢).

- Incyclopaedia Britannica , Inc: The new Encyclopaedia Britannica, Ed / ١٥ , (U.:S.A , ١٩٧٩).

- Lewis, The Muslim Discovery of Europe, Weidenfeld & Nicolson, (No. Pl , ١٩٨١).

- Pirenne, Henri: Mohammed and Charlemagne, Unwin university Book, (London , ١٩٦٨).

- Satow , Ernest: Aguide Diplomatic Practice (London , ١٩٥٧).

ثانياً: الاسبانية:

- J. A.Garcia de cortazar, Historia de Espana Alfaguara II ,Alianza Editorial S. A , (Madrid , ١٩٧٣).

- Jose – Luis Martin.Y Otros, Historia de Espana, Aguilar. Altea. Taurus. Alaguara S. A., (Madrid, ١٩٩٨).

- Miguen Aviles Fernendez Y. Otros, Nueva Historia de Espana, Edaf – Ediciones – Distribuciones, S.A., Volumen ٦, (Madrid, ١٩٧٣).

ثالثاً / الفرنسية:

- Gerard Labrune, Philippe Toutain: L histoire de France, Nathan, (France, ٢٠٠٢).

- Georges, Duby: Histoire de La France, Volume ١, Larousse (Paris, ١٩٩٩).

الرسائل الجامعية غير المنشورة /

١- الأنصاري، فريده رؤوف: الإمارة الأموية في الأندلس على عهد الأمر عبد الرحمن الداخل (١٣٨ – ١٧٢ هـ/٧٥٦ – ٧٨٨ م) دراسة سياسية،رسالة جامعية غير منشورة، جامعة بغداد كلية الآداب، (بغداد، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م).

٢- العزاوي، عمار عبد الرحمن حسين: الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) وسياسته الداخلية والخارجية في الأندلس من ٢٠٦ –

٢٣٨ هـ / ٨٢٢ – ٨٥٢ م، رسالة جامعية غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، (بغداد، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م).

٣- علي عبد، زينب: السفارات العربية الإسلامية إلى ملوك الشرق من القرن الأول الهجري وحتى القرن الثالث الهجري، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة القادسية – كلية التربية – قسم التاريخ، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٤- النجار، جعفر عبد الرزاق زامل: الإمارة الأموية في الأندلس ٢٠٦ – ٢٣٨ هـ/ ٨٢٢ - ٨٥٢ م دراسة سياسية، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة بغداد – كلية الآداب، (بغداد، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م).

٥- النقيب، أحلام حسن مصطفى: الخلافة في الأندلس من ٣٥٠ – ٣٦٦ هـ دراسة في الأحوال السياسية والاجتماعية، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة بغداد – كلية الآداب، (بغداد، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م).

الدوريات /

١- بوتشيش، إبراهيم القادري: مجلة المناهل، أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط – المغرب، ع / ٣٢ ، السنة ١٢، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

٢- بو فلاقة، سعد: مجلة الموقف الأدبي، حوار الثقافات في الغرب الإسلامي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ع /٣٩٩، السنة الرابعة والثلاثون، تموز ٢٠٠٤ م.

٣- حمود، سادسة حلاوي: مجلة واسط، يحيى بن الحكم الغزال من رواد السفراء العرب في الأندلس، جامعة واسط / العراق، مج/ ١، ع/ ٢، (١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م).

٤- رشاد، عبد المنعم و موفق سالم الجوادي: مجلة المورد، العلاقات الدبلوماسية العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول، وزارة الثقافة – دار الشؤون الثقافية العامة، مج / ٣٢، ع / ٢، بغداد – ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

٥- زمامة، عبد القادر: مجلة المناهل، يحيى بن حكم البكري الغزال، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط – المغرب، ع /٤، السنة/ ٢، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.

٦- طه، عبد الواحد ذنون: مجلة أوراق، قيام الممالك الاسبانية وعلاقتها مع العرب في الأندلس، المعهد الاسباني العربي للثقافة، ع / ٥ و ٦، ١٩٨٢ – ١٩٨٣ م.

٧- العامري، محمد بشير حسن: مجلة دراسات في التاريخ والآثار، النشاط التجاري للأندلس مع الدول المجاورة في القرنين الثالث والرابع الهجري، تصدرها جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق، السنة الحادية والعشرون، ع / ١١، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

٨- العلاق، علاء أبو الحسن إسماعيل: مجلة الأستاذ، السفارات عند العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد- كلية التربية / ابن رشد،ع/ ٥٨، لسنة/ ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.

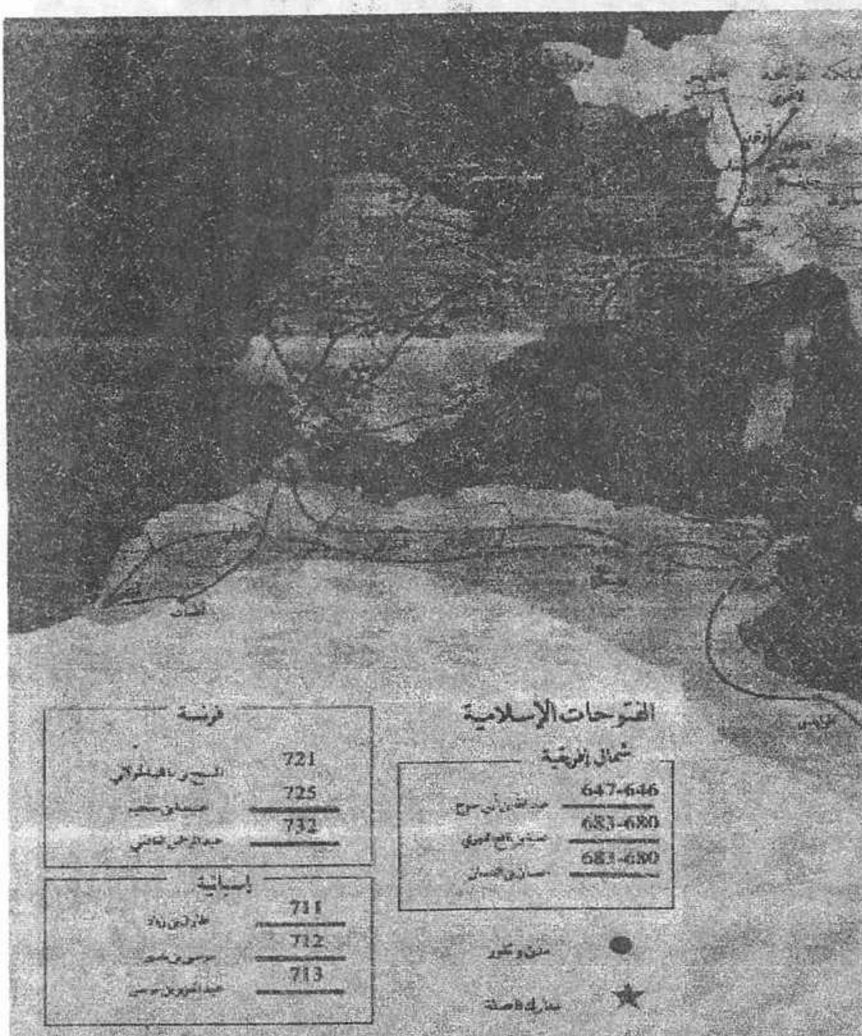
٩- مفلح، شريف: مجلة التراث العربي، رحلات يحيى الغزال الأندلسي – المضامين والأهمية التاريخية، اتحاد الكتاب العرب – دمشق، ع /٦٦، السنة/ ١٧، كانون الثاني ١٩٩٧.

شبكة المعلومات الدولية / الإنترنيت

- http:// www. Islamweb. Net / ver٢ / archive / readart.php ?lang =a &id = ٨٩٥٥٥
- http: // www. Alshamsi. net / man / oman / andaluss.html
- http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=٨٢٩٨٦
- http://www.hukam.net/images/maps/fouteh٠
- http://ar.wikipeedia.org/wiki/Toledo
- http://www.hukam.net/family.php?fam=١٨#٤
- http://www.hukam.net/images/maps/fouteh٠٠٣.gif

الملاحق

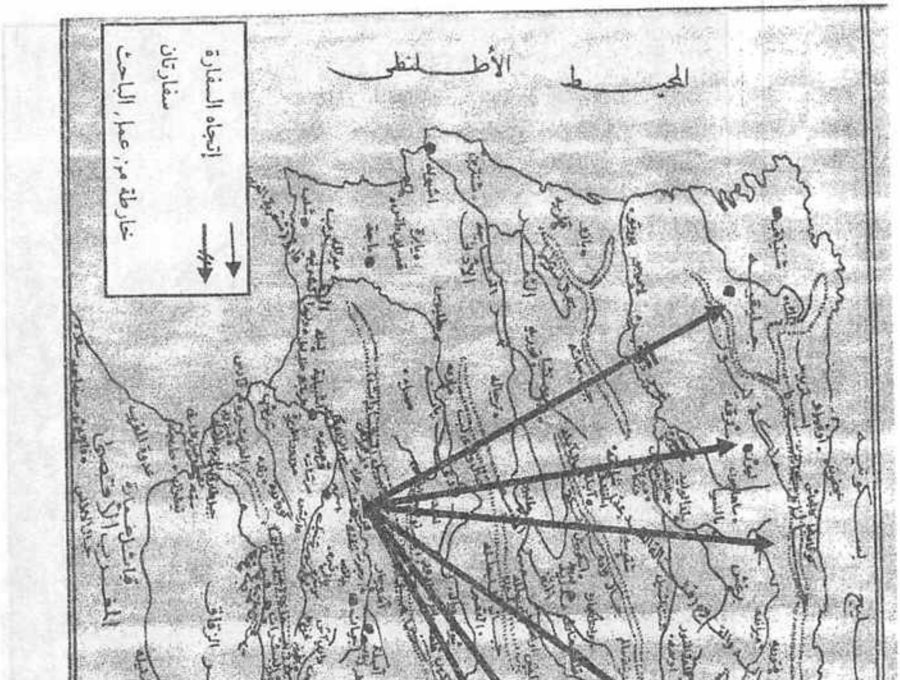
ملحق رقم (١)



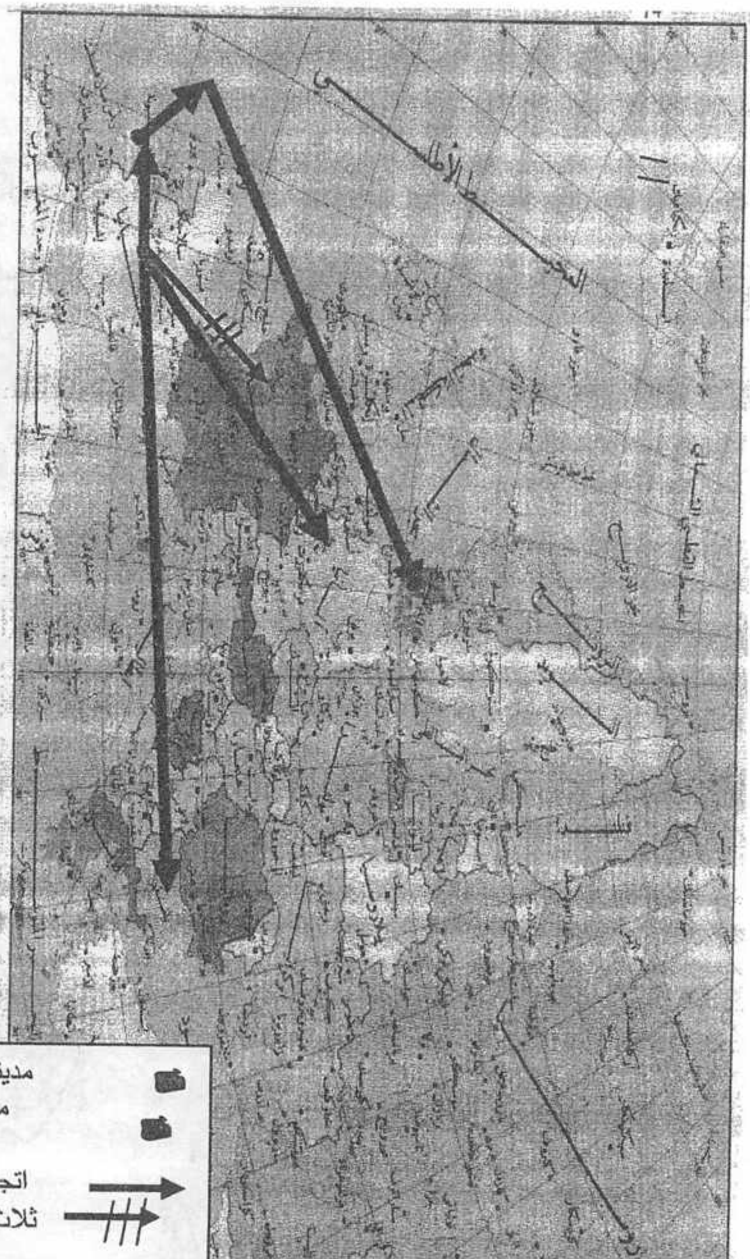
ملحق (٢)



ملحق رقم (٣)


المحيط الأطلنطي
إتجاه السفارة
سفارتان
خارطة من عمل الباحث
الأندلس

ملحق (٤)



خارطة بالاعتماد على: أطلس العالم، أشراف ومراجعة إبراهيم حلمي الغوري

المقياس ١ : ٢٠٠٠٠٠٠٠

ملحق رقم (٥)

نسب عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)

الحكم

↓

مروان رابع خلفاء بني أمية في الشام/ ٦٤ - ٦٥ هـ / ٦٨٣ – ٦٨٤ م

↓

عبد الملك خامس خلفاء بني أمية في الشام/ ٦٥ – ٨٦ هـ / ٦٨٤ – ٧٠٥ م

↓

هشام عاشر خلفاء بني امية في الشام/ ١٠٥ – ١٢٥ هـ / ٧٢٣ – ٧٤٢ م

↓

معاوية

↓

*عبد الرحمن الداخل** أول أمراء الدولة الأموية في الأندلس ١٣٨ – ١٧٢ هـ / ٧٥٦ – ٧٨٨ م

↓

هشام ثاني أمراء الدولة الأموية في الأندلس ١٧٢ – ١٨٠ هـ / ٧٨٨ – ٧٩٦ م

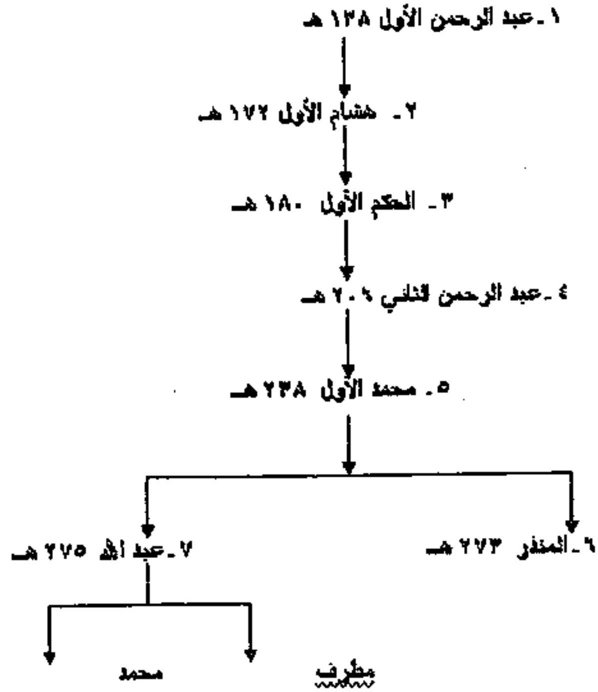
* لقب بالداخل لأنه أول من دخل الأندلس من بني أمية حاكما ولقبه ابو جعفر المنصور " صقر قريش " لبراعته وقوة نفسه وتوليه الحكم في الأندلس بعد ان كان هاربا من العباسيين وعرف بالأول لأنه أول ثلاث حكام من بني أمية في الأندلس حملوا هذا الاسم وهم عبد الرحمن الثاني

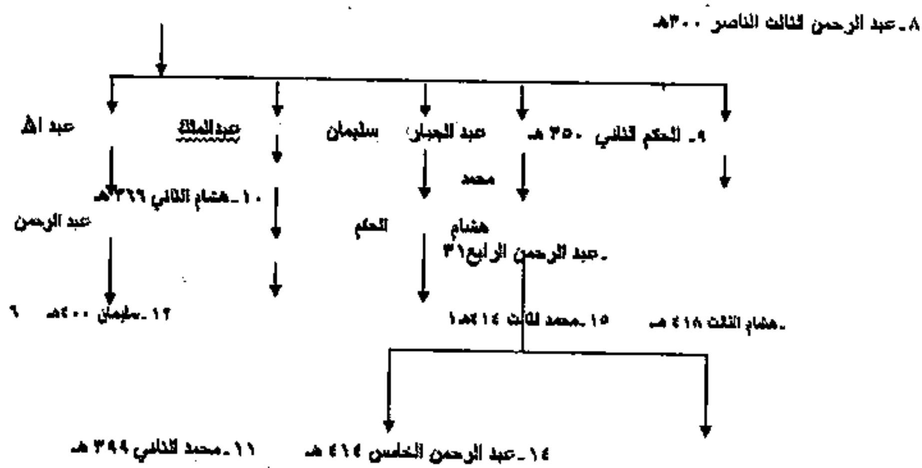
(الأوسـط) وعبـد الـرحمن الثالـث (الناصـر لـدين الله)، ويكنـى أبـو المطرف.

نقلاً عن / ابراهيم خضر ياس الدوري : عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية

ملحق رقم (٦)

مخطط يمثل نسب الأمويين في قرطبة





نقلاً عن / حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، دار الجيل ، ط ١٥ ، (بيروت ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م)

ملحق رقم (٧)

حكام الأندلس

ت	الأمير أو الخليفة	مدة الحكم	حياة الحاكم	الملحوظات
١	أبو المطرف "الداخل" عبد الرحمن بن معاوية	١٣٨ - ١٧٢ هـ ٧٥٦ - ٧٨٨ م	١١٣ - ١٧٢ هـ ٧٣١ - ٧٨٨ م	(أموي)
٢	أبو الوليد "الرضي" هشام بن عبد الرحمن	١٧٢ - ١٨٠ هـ ٧٨٨ - ٧٩٦ م	١٤٠ - ١٨٠هـ ٧٥٧ - ٧٩٦م	(أموي)
٣	أبو العاص "المرتضى" الحكم بن هشام	١٨٠ - ٢٠٧ هـ ٧٩٦ - ٨٢٢ م	١٥٣ - ٢٠٧ هـ ٧٧٠ - ٨٢٢م	لقب بالحكم الربضي (أموي)
٤	أبو المطرف عبد الرحمن بن الحكم " الاوسط "	٢٠٧ - ٢٣٨ هـ ٨٢٢ - ٨٥٢م	١٧٦ - ٢٣٨ هـ ٧٩٢ - ٨٥٢م	(أموي)

٥	أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن	٢٣٨ - ٢٧٣ هـ - ٨٥٢ - ٨٨٦ م	٢٠٨ - ٢٧٣ هـ - ٨٢٣ - ٨٨٦ م	(أموي)
٦	أبو الحكم المنذر بن محمد	٢٧٣ - ٢٧٦ هـ - ٨٨٦ - ٨٨٩ م	٢٣٠ - ٢٧٦ هـ - ٨٤٤ - ٨٨٩ م	(أموي)
٧	أبو محمد عبد الله بن محمد	٢٧٦ - ٣٠٠ هـ - ٨٨٩ - ٩١٢ م	٢٣٠ - ٣٠١ هـ - ٨٤٤ - ٩١٣ م	(أموي)
٨	أبو المطرف "الناصر لدين الله" عبد الرحمن بن محمد	٣١٧ - ٣٥٠ هـ - ٩٢٩ - ٩٦١ م	٢٧٧ - ٣٥٠ هـ - ٨٩٠ - ٩٦١ م	أمير ، ثم تلقب بأمير المؤمنين وأصبح خليفة . (أموي)
٩	أبو المطرف "المستنصر بالله" الحكم بن عبد الرحمن	٣٥٠ - ٣٦٦ هـ - ٩٦١ - ٩٧٦ م	٣٠٣ - ٣٦٦ هـ - ٩١٥ - ٩٧٦ م	(أموي)
١٠-١	أبو الوليد "المؤيد بالله" هشام بن الحكم	٣٦٦ - ٤٠٠ هـ - ٩٧٦ - ١٠٠٩م	٣٥٤ - ٤٠٤ هـ - ٩٦٥ - ١٠١٣م	خلع ثم أعيد وقتل (أموي)

	جعفر بن عثمان المصحفي	٣٦٦ - ٣٦٨ هـ ٩٧٦ - ٩٧٨ م	؟ - ٣٧٣ هـ ؟ - ٩٨٣ م	الحاجب
	أبو عامر "المنصور بالله" محمد بن عبد الله بن عامر	٣٦٨ - ٣٩٣ هـ ٩٧٨ - ١٠٠٢م	٣٨٢ - ٣٩٣ هـ ٩٣٩ - ١٠٠٢م	الحاجب، اسمه الكامل : محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري القحطاني
	أبو مروان "المظفر" عبد الملك بن أبي عامر	٣٩٣ - ٣٩٩ هـ ١٠٠٢ - ١٠٠٨م	٣٦٥ - ٣٩٩ هـ ٩٧٥ - ١٠٠٨م	الحاجب
	أبو المطرف سنجول "المأمون" عبد الرحمن بن أبي عامر	٣٩٩ - ٤٠٠ هـ ١٠٠٨ - ١٠٠٩م	٣٧٤ - ٤٠٠ هـ ٩٨٤ - ١٠٠٩م	أو سانشو، أمه ابنة (سانشو) ملك (نفارا)، كان حاجباً، ثم قتل

١١-١	" المهدي بالله" محمد بن هشام	٤٠٠ - ٤٠٠ هـ ١٠٠٩ - ١٠٠٩م	٣٧٠ - ٤٠١ هـ ٩٨٠ - ١٠١٠م	(أموي)، ثم خلع

١٢-١	" المستعين بالله" سليمان بن الحكم	٤٠٠ - ٤٠١ هـ -١٠٠٩ ١٠١٠م	٣٤٧ - ٤٠٧ هـ - ٩٥٨ ١٠١٦م	(أموي)، ثم خلع
١١-٢	"المهدي بالله" محمد بن هشام	٤٠١ - ٤٠١ هـ -١٠١٠ ١٠١٠م	٣٧٠ - ٤٠١ هـ - ٩٨٠ ١٠١٠م	(أموي) ، ثم خلع
١٠-٢	أبو الوليد "المؤيد بالله" هشام بن الحكم	٤٠١ - ٤٠٤ هـ - ١٠١٠ ١٠١٣م	٣٥٥ - ٤٠٤ هـ - ٩٦٥ ١٠١٣م	(أموي) ، ثم خلع وقتل
١٢-٢	"المستعين بالله" سليمان بن الحكم	٤٠٤ - ٤٠٧ هـ -١٠١٣ ١٠١٦م	٣٤٧ - ٤٠٧ هـ - ٩٥٨ ١٠١٦م	(أموي) ثم قتل
١٣	" الناصر" علي بن حمود	٤٠٧ - ٤٠٩ هـ -١٠١٦ ١٠١٨م	؟ - ٤٠٩ هـ ؟ - ١٠١٨م	(من بني حمود) ثم قتل
١٤	" المرتضى" عبد الرحمن بن محمد	٤٠٩ - ٤٠٩ هـ -١٠١٨ ١٠١٨م	؟ - ٤٠٩ هـ ؟ - ١٠١٨م	(أموي) ثم قتل

١٥-١	"المأمون" القاسم بن حمود	٤٠٩ - ٤١٢ هـ - ١٠١٨ ١٠٢١م	؟ - ٤٢٨ هـ ؟ - ١٠٣٦م	من بني حمود العلويين ثم قتل
١٦-١	" المعتلي" يحي بن علي	٤١٢ - ٤١٤ هـ - ١٠٢١ ١٠٢٣م	؟ - ٤٢٧ هـ ؟ - ١٠٣٥م	خلع (من بني حمود)
١٥-٢	"المأمون" القاسم بن حمود	٤١٤ - ٤١٤ هـ - ١٠٢٣ ١٠٢٣م	؟ - ٤٢٨ هـ ؟ - ١٠٣٦م	(من بني حمود) ثم قتل
١٧	" المستظهر بالله" عبد الرحمن بن هشام	٤١٤ - ٤١٥ هـ - ١٠٢٣ ١٠٢٤م	٣٩٢ - ٤١٥ هـ -١٠٠١ ١٠٢٤م	(أموي) ثم قتل
١٨	" المستكفي" محمد بن عبد الرحمن	٤١٥ - ٤١٦ هـ -١٠٢٤ ١٠٢٥م	٣٦٦ - ٤١٦ هـ - ٩٧٦ ١٠٢٥م	(أموي) ثم قتل
١٦-٢	" المعتلي" يحي بن علي	٤١٦ - ٤١٨ هـ -١٠٢٥ ١٠٢٧م	؟ - ٤٢٧ هـ ؟ - ١٠٣٥م	(من بني حمود) خلع

١٩	" المعتد بالله" هشام بن محمد	٤١٨ - ٤٢٢ هـ - ١٠٢٧ - ١٠٣١م	٣٦٥ - ٤٢٨ هـ - ٩٧٥ - ١٠٣٦م	(أموي) خلع وبه انتهت الخلافة

من عمل الباحث بالاعتماد على/

http://www.hukam.net/family.php?fam=١٨#٤

ثبت المختصرات العربية المستخدمة في الرسالة

المختصر	الكلمة
ت	تاريخ الوفاة
تح و تق	تحقيق وتقديم
تحر	تحرير
تر	ترجمة
تص – ص : ط	تصدير – الصفحة ط
تق وتع	تقديم وتعليق
ر	راجعه
شر ض	شرحه وضبطه
ص . ن	الصفحة نفسها
ض . ن	ضبط نصه
ط	الطبعة
ع	العدد
علق	علق عليه
د . ت	بدون تاريخ
د . تر	بدون مترجم
د . م	بدون مكان
ق . م	قبل الميلاد

قر و قد	قرأه وقدم له
م د . و ع	مركز دراسات الوحدة العربية
م . ن	المؤلف نفسه
مر	مراجعة
و ض ح	وضع حواشيه
وض . م	وضع مقدمته

ثبت المختصرات الإنكليزية المستخدمة في الرسالة

P.	رقم الصفحة
No . d	بدون تاريخ
No . pl	بدون مكان
Ed	الطبعة

جدول رقم (١) السفارات المنطلقة من الأندلس الى ممالك أوربا المسيحية الكاثوليكية في عصر الإمارة بالاعتماد على بعض مصادر ومراجع الرسالة .

اسم السفير	تاريخ السفارة	وجهة السفارة	هدف السفارة
مبعوثين	١٥١ هـ / ٧٦٨ م	فرنسا (اكوتين)	تقارب دبلوماسي
وفد	١٩٥ هـ / ٨١٠ م	فرنسا (اكس لاشابيل)	عقد صلح بين الطرفين الأندلسي، والفرنسي .
رسل	٢٠١ هـ / ٨١٦ م	فرنسا (كومبيان)	عقد متاركه
يحيى بن الحكم الغزال	زمن عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) ٢٠٦ – ٢٣٨ هـ / ٨٢١ – ٨٥٢ م	الدنمارك	سفارة جوابية من أجل السلم، والهادنة
—	٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م	فرنسا	لاقرار السلام بين الطرفين
—	زمن الأمير محمد الأول (٢٣٨ – ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ – ٨٨٦ م)	شمال أسبانيا	اطلاق سراح الوزير هشام بن عبد العزيز بعد إعطاء فديته

جدول رقم (٢) السفارات المنطلقة من الأندلس إلى ممالك أوربا المسيحية الكاثوليكية في عصر الخلافة بالاعتماد على بعض مصادر ومراجع الرسالة.

اسم السفير	تاريخ السفارة	وجهة السفارة	هدف السفارة
ابراهيم بن يعقوب	بعد ٣٤٤ هـ / ٩٥٦ م	المانيا	تغيير مضمون رسالة سفير المانيا
حسداي بن شبرط	زمن الخليفة الناصر (٣١٦- ٣٥٠ هـ/ ٩٢٨ – ٩٦١ م)	مملكة ليون	إجابه لطلب صلح
-	-	مملكة برشلونه	عقد سلم وفاق ما يرتضيه الناصر
ربيع الأسقف	-	بلغاريا	الصداقة
محمد بن الحسين	٣٤٥ هـ / ٩٥٥ م	مملكة ليون	طلب صلح
حسداي بن شبرط	٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م	مملكة نافار	فرض شروط الخليفة الناصر وعلاج شانجه
عباس بن المنذر	زمن الخليفة الناصر (٣١٦- ٣٥٠ هـ/ ٩٢٨ – ٩٦١ م)	مملكة أراغون	—

احمد بن عروس الموروي	زمن الخليفة المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ م)	مملكة جليقية	إبلاغ كافلة أمير جليقية بسوء تصرف رسلها
اصبغ بن عبد الله بن نبيل	٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ م	شمال أسبانيا	حل الخلاف بين مملكة جليقية ، ومملكة قشتالة

قائمة الجداول

جدول رقم (٣) يبين حصة كل حاكم من السفارات المنطلقة من الأندلس

اسم الحاكم	مهنته	عدد السفارات المنطلقة في عصره
عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)	أمير	١
الحكم بن هشام (الحكم الربضي)	=	٢
عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط)	=	٢
محمد بن عبد الرحمن (الأول)	=	١
عبد الرحمن بن محمد (الناصر)	خليفة	٧
الحكم بن عبد الرحمن (المستنصر)	خليفة	١
عبد الملك بن أبي عامر (المظفر)	حاجب	١
		المجموع / ١٥

مصادر ومراجع جدول رقم (١) :
١) ابن حيان القرطبي : المقتبس من أنباء أهل الأندلس .
٢) ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب .

٣) ارسلان ، شكيب : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر
المتوسط .
٤) عنان ، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر .
٥) Pirenne Henri , Mohammed and Charlemagne

مصادر ومراجع جدول رقم (٢) :
١) ابن حيان القرطبي : المقتبس في أخبار بلد الأندلس .
٢) ابن خلدون : العبر .
٣) ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب .

٤) عنان ، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر .
٥) Daniel Norman , The Arabs and mediaeval Europe .

فهرس